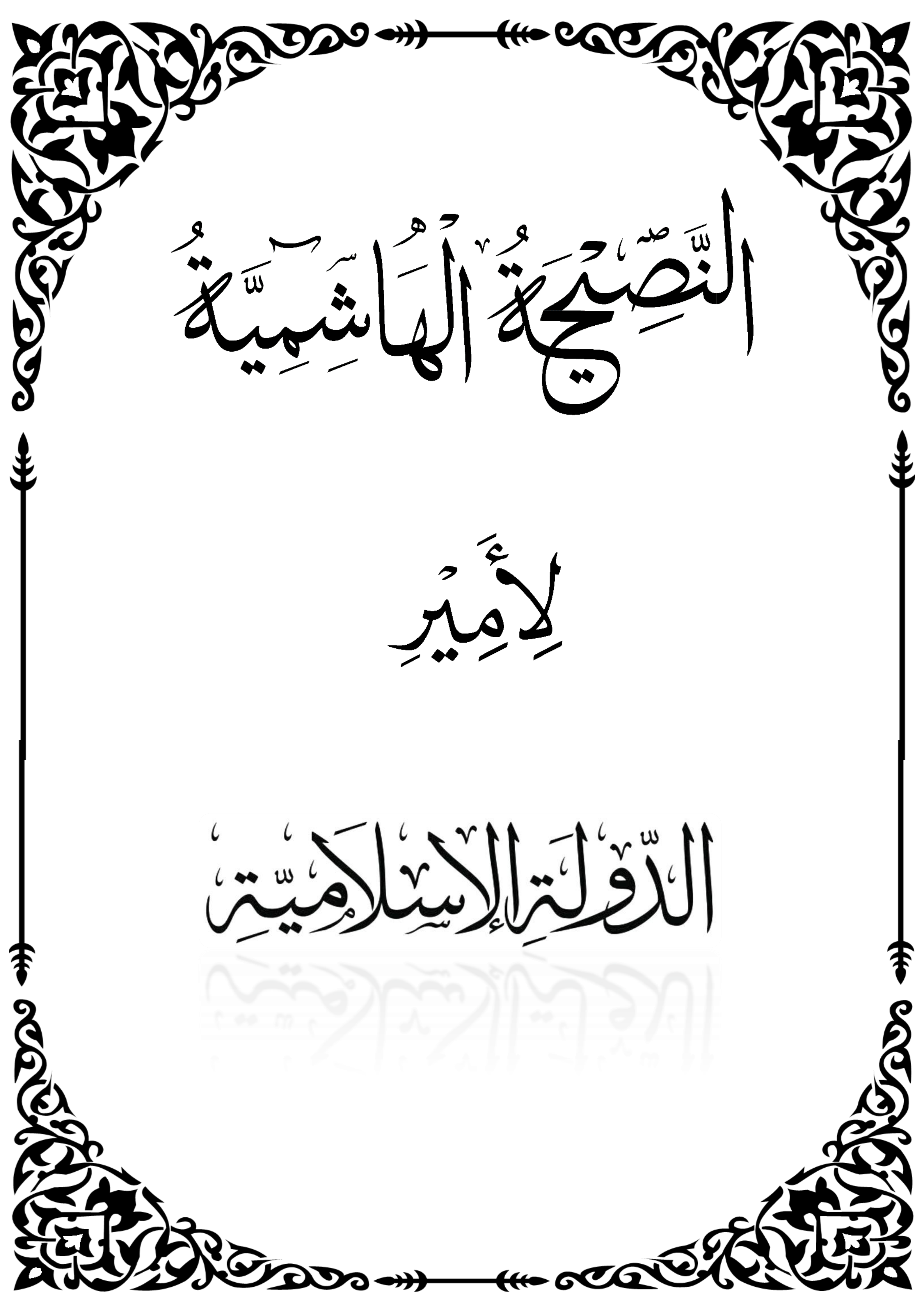


النَّصِيحَةُ الهَاشِمِيَّةُ

لِأَمِيرِ

الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ الذِي فَرَضَ عَلَى عِبَادِهِ النَّصِيْحَةَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ بُعِثَ بِالمِلَّةِ الصَّحِيْحَةِ، وَجَاءَ بِالشَّرِيْعَةِ الوَاضِحَةِ الفَصِيْحَةِ، وَعَلَى آلِهِ الأَطْهَارِ المبَرَّئِيْنَ مِنْ كُلِّ نَقِيْصَةٍ وَقَبِيْحَة، وَعَلَى أَصْحَابِهِ الذِيْنَ فَتَحَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ الفَسِيْحَة، وَعَلَى مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ عَلَى الطَّرِيْقِ القَوِيْمَةِ وَالسُّنَّةِ الصَرِيْحَةِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَمِنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الحُسَيْنِيِّ الهَاشِمِيِّ عَامَلَهُ اللهُ بِلُطْفِهِ..

إِلَى مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَنَا وَعَقَدْنَا لَهُ البَيْعَةَ..

إِلَى عَبْدِ اللهِ أَبِيْ بَكْرٍ إِبْرَاهِيْمَ بْنِ عَوَّادٍ البَدْرِيِّ البَغْدَادِيِّ..

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ..

سَلَامٌ عَلَى المتَّقِيْنَ المصْلِحِيْنَ.. وَلَيْسَ عَلَى الظَّالِمِيْنَ السَّلَامُ..

إِنَّ اليَرَاعَ لَيَتَحَيَّرُ مِنْ أَيْنَ يَبْدَأُ وَصْفَ المعْضِلَةِ، وَبِأَيِّ لُغَةٍ يُسَطِّرُ بَيَانَ المشْكِلَةِ، كَيْفَ وَهُوَ يُبْصِرُ الدَوْلَةَ الَّتِي أُقِيْمَتْ بِالجَمَاجِمِ وَالأَشْلَاءِ عَلَى التَّوْحِيْدِ وَالسُّنَّةِ الغَرَّاءِ، وَهِيَ تَتَآكَلُ إِقْلِيمًا تِلْوَ إِقْلِيمٍ، وَتَنْفَرِطُ خَرَزَاتُ عِقْدِهَا بِسُرْعَةِ البَرْقِ، وَيَتَسَاقَطُ أَبْنَاؤُهَا جَمْعًا يَتْلُوْهُ جَمْعٌ، فَمَنْ أَخْطَأَتْهُ المنِيَّةُ أَصَابَتْهُ مَقَاتِلُ البِدْعَةِ الرَّدِيَّةِ -إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾-، وَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ دَوْلَتِيَ الَّتِي بَايَعْتُهَا -قَبْلَ هِجْرَتِي- مُنْذُ الحَادِيْ وَالعِشْرِيْنَ مِنْ رَمَضَانَ فِي عَامِ ١٤٢٧، يَوْمَ أَعْلَنَهَا المحَارِبُ الجبُوْرِيُّ وَقَادَهَا المهَاجِرُ وَالزَّاوِيُّ أَبُوْ عُمَرَ البَغْدَادِيُّ، يَوْمَ أَنْ كَانَ رُبَّانُ دَفَّتِهَا الشَّامِيُّ وَالغَرِيْبُ وَأَمْثَالُهَا -تَقَبَّلَهُمُ اللهُ أَجْمَعِيْنَ-، يَوْمَ أَنْ تَمَسَّكَتْ بِالسُّنَّةِ وَنَبَذَتِ البِدْعَةَ، يَوْمَ أَنْ أَعَزَّتِ الدِّيْنَ وَأَهْلَهُ وَأَذَلَّتِ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ.

إِنِّي تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى مُؤَرِّقَةٌ   مَجْدًا تَلِيْدًا بِأَيْدِيْنَا أَضَعْنَاهُ

فَوَا أَسَفَاهُ عَلَى مَجْدٍ مُؤَثَّلٍ فَرَّطْتَ فِيْ رِعَايَتِهِ، وَعَلَى صَرْحٍ شَامِخٍ كُنْتَ مِعوَلَ هَدْمِهِ.

نَعَمْ، فَإِنَّ الأَمْرَ جَلَلٌ وَالخَطْبَ عَظِيْمٌ وَالمصَـابَ مَهُوْلٌ، إِنَّهُ القَوْلُ عَلَى اللهِ وَادِّعَاءُ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ، وَمَا لَمْ تُؤَدُّوا أَمَانَتَهُ وَتَرْعَوْهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ.

وَإِنِّيْ واللهِ لَأَتَأَثَّمُ أَنْ أَكْتُمَ النَّصِـيْحَةَ أَوْ أُخْفِيَ الحَقَّ أَوْ أَغُشَّ الأَئِمَّةَ والأُمَّةَ، وَقَدْ قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّـامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَايَعْنَا رَسُـولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّـمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المَنْشَـطِ وَالمَكْرَهِ، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، **وَأَنْ نَقُومَ أَوْ نَقُولَ بالحَقِّ حَيْثُمَا كُنَّا، لاَ نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ**»؛ فَوَطِّنْ نَفْسَكَ عَلَى قِرَاءَةِ مَا تَكْرَهُ، فَإِنَّكَ سَتَلْقَى فِيْ مَقَالِي غِلْظَةً لَمْ تَسْمَعْهَا وَشِدَّةً لَمْ تَعْهَدْهَا، وَلَكِنْ إِذَا اشْـتَدَّ الدَّاءُ عَسُـرَ الدَّوَاءُ، وَإِذَا يَئِسَ الأَطِبَّاءُ الأُسَاةُ مِنْ إِنْعَاشِ المرِيْضِ عَمَدُوْا إِلَى الصَّعْقَةِ الكَهْرَبَائِيَّةِ فَهِيَ آخِرُ السُّبُلِ، وَمَا أُرَانِيْ إِلَّا كَالنَّذِيْرِ العُرْيَانِ الَّذِيْ يَصِيْحُ بِقَوْمِهِ وَاصَبَاحَاهُ وَاغَوْثَاهُ، وَاذْكُرْ قَوْلَ إِمَامِ أَهْلِ اليَمَنِ مَعْمَر بنِ رَاشِـدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ يُقَالُ: أَنْصَـحُ النَّاسِ لَكَ مَنْ خَافَ اللهَ فِيْكَ».

وَلَوْ كَانَ يَسَعُنِي السُّكُوْتُ لَمَا تَجَشَّمْتُ عَنَاءَ الكِتَابَةِ وَخَطَرَ النَّصِيْحَةِ، لَكِنَّهُ المِيْثَاقُ المأْخُوْذُ عَلَى مَنْ تَحَمَّلَ أَمَانَةَ العِلْمِ، وَلَسْـتُ –واللهِ– مِنْ أَهْلِهِ، إِنَّمَا أَنَا عَلَى بَابِهِمْ مُتَسَـوِّلٌ؛ وَعَلَى خِوَانِهِمْ مُتَطَفِّلٌ؛ طَلَبْتُه بِضْعَ عَشْـرَةَ سَنَةً لِأَعْمَلَ بِهِ وَأُبَلِّغَهُ؛ لَا لِأُخَالِفَهُ وَأَكْتُمَهُ، وَإِنَّ الضَّعْفَ لَازِبٌ وَالتَّقْصِيْرَ لَاحِبٌ وَالتَّمْكِيْنَ عَازِبٌ، ولَكِنْ عَلَى اللهِ اتِّكَالُنَا فِيْ المضَايِقِ والمصَاعِبِ.

وَلَقَدْ قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "قَالُوا مَدَارُ الدِّيْنِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحَادِيْثَ، وَأَنَا أَقُوْلُ بَلْ مَدَارُهُ عَلَى حَدِيْثِ «الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ»".

وَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ فِيْ التَّارِيْخِ الكَبِيْرِ بِإِسْـنَادٍ قَوِيٍّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِـيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ يَوْمًا، فِي مجلسٍ، وَحَوْلَهُ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ تَرَخَّصْتُ فِيْ بَعْضِ الأَمْرِ، مَا كُنْتُمْ فَاعِلِيْنَ؟» فَسَكَتُوْا، فَعَادَ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: «لَوْ فَعَلْتَ، قَوَّمْنَاكَ تَقْوِيمَ الْقِدْحِ»، قَالَ عُمَرُ: «أَنْتُمْ إِذًا أنتم»".

وَإِنِّي إِنْ دَاهَنْتُكَ اليَوْمَ فِي الدُّنْيَا لِأُرْضِـيَكَ، فَأَنَّى لِيْ يَوْمَ لا يُغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ أَنْ أُدَاهِنَ رَبِّي لِأُرْضِـيَـهُ وَهُوَ الَّـذِيْ ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾، فَلَنْ أَكْتُمَ شَـيْئًـا، وَسَــأَتَحَدَّثُ بِعَوَالِجِ النَّفْسِ وَمَكْنُوْنَاتِ القَلْبِ، واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ وَهُوَ حَسْبِيْ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ.

لَقَدْ أُعْلِنَتِ الخِلَافَةُ، وَنَصَّــبَكَ النَّاسُ خَلِيْفَةً وَبَايَعُوْكَ وَبَايَعْنَاكَ مَعَهُمْ، ثُمَّ سِرْنَا نُجَاهِدُ فِي الأَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا، فَدَانَتْ لَنَا -وَنَحْنُ القِلَّةُ- البِلَادُ، وَرَجَفَتْ مِنْ رُعْبِنَا -وَنَحْنُ الضَـعَفَةُ- قُلُوْبُ العِبَادِ، وَطَرَقْنَا أَبْوَابَ دِمَشْــقَ وَقَارَبْنَا مَشَــارِفَ بَغْدَادَ وَهَزَزْنَا أَسْــوَارَ أَرْبِيْلَ وَاخْتَرَقْنَا حُصُــوْنَ بَيْرُوْتَ وَلَنْدُنَ وَبَارِيْس، فَمَا بَالُ الحَالِ تَغَيَّرَ، وَالآيَةِ انْقَلَبَتْ، وَصَــارَ مَنْ كَانَ يَهَابُنَا يَغْزُوْنَا، وَمَنْ كَانَ يَفِرُّ مِنَّا؛ يَفِرُّ مِنْهُ جُنُوْدُنَا..؟! فَأَيْنَ العَطَبُ وَأَيْنَ الخَلَلَ..؟!

لِمَاذَا انْحَرَفَتِ الرَّايَةُ وَتَغَيَّرَ المَنْهَجُ وَصَــارَ يَلْعَنُ آخِرُ هَذِهِ الجَمَاعَةِ أَوَّلَهَا، فَكَيْفَ حَالُ الجَمَاعَةِ اليَوْمَ مَعَ حَالِ الرَّعِيْلِ الأَوَّلِ الَّذِيْنَ تَعَاقَبُوا عَلَى حَمْلِ هَذِهِ الرَّايَةِ مِنَ الرِّجَالِ العُظَمَاءِ ذَوِي الأَسْـمَاءِ الَّتِي لَهَا فِي الأَرْضِ ثِقْلُهَا، وَفِي الأَسْــمَاعِ وَقْعُهَا، وَفِي القُلُوْبِ مَحَبَّتُهَا، فَابْتِدَاءً بِأَمِيْرِ الاسْتِشْهَادِيِّيْنَ الشَّيْخِ أَبِي مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِيِّ وَصَاحِبِهِ أَبِي أَنَسٍ الشَّامِيِّ، ثُمَّ الشَّيْخِ مَيْسَــرَةَ الغَرِيْبِ، وَالشَّــيْخِ أَبِي الحَسَــنِ الفِلِسْـطِيْنِيِّ، وَالشَّــيْخِ عِزِّ الدِّيْنِ الرَّصَـافِيِّ، وَالشَّـيْخِ مُحَارِبٍ الجُبُوْرِيِّ، وَالشَّــيْخِ أَبِي حَمْزَةَ المهَاجِرِ، وَالشَّــيْخِ أَبِي عُمَرَ البَغْدَادِيِّ، وَالشَّــيْخِ عُثْمَانَ آلِ نَازِحٍ الغَامِدِيِّ، وَالشَّــيْخِ أَبِي مَالِكٍ التَّمِيْمِيِّ، وَأَخِيْرًا وَلَيْسَ آخِرًا لَحِقَهُمْ أَبُوْ هَمَّامٍ الأَثَرِيُّ وَأَبُوْ عَبْدِ البَرِّ الصَّالِحِيُّ.. تَقَبَّلَهُمُ اللهُ جَمِيْعًا..

لَكِنَّهَا الأَمَانَةُ العَظِيْمَةُ إِذْ تُضَيَّعُ، وَالدَّعْوَى العَرِيْضَةُ إِذْ تُخَالِفُ الوَاقِعَ وَتُمَـيَّعُ..

إِنَّ أَصْحَابَ الادِّعَاءَاتِ وَالدَّعَوَاتِ تَكُوْنُ عَاقِبَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَى أَمْرَيْنِ:

الأَوْلُ: حَجْمُ هَذِهِ الدَّعْوَى وَضَخَامَتُهَا، وَالثَّانِي: صِدْقُهُمْ فِي هَذَا الادِّعَاءِ.

وَلِبَيَانٍ أَجْلَى وَأَوْضَـح، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَغْيَرُ مِنْ أَنْ يَدَعَ رَجُلًا لِيَدَّعِيَ النُّـــبُوَّةَ وَاتِّصَـالَ الوَحْيِّ بِهِ وَالقَوْلَ عَلَيْهِ بِالْكَذِبِ؛ دُوْنَ أَنْ يَفْضَــحَهُ وَيُظْهِرَ كَذِبَهُ وَمَخَازِيَهُ وَيَجْعَلَهُ أُضْــحُوْكَةً

لِلْبَشَـرِ، قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَقَدْ عُلِمَ مِنْ سُنَّتِهِ وَعَادَتِهِ: أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَا يُؤَيِّدُ الكَذَّابَ، بِمِثْلِ مَا أَيَّدَ بِهِ الصَّادِقَ قَطُّ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَفْضَحَهُ وَلَا يَنْصُـرَهُ، بَل لا بُدَّ أَنْ يُهْلِكَهُ. وَإِذَا نَصَرَ مَلِكًا ظَالِمًا مُسَلَّطًا، فَهُوَ لَمْ يَدَّعِ النُّبُوَّةَ، وَلَا كَذَبَ عَلَيْهِ، بَلْ هُوَ ظَالِمٌ سَلَّطَهُ عَلَى ظَالِمٍ"ا.هـ.[النبوات ٢/٦٨٧].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَلِهَـذَا جَاءَ فِيْ النُّبُوَّاتِ المتَقَدِّمَةِ أَنَّ الكَذَّابَ لَا يَدُوْمُ أَمْرُهُ أَكْثَرَ مِنْ مُدَّةٍ قَلِيْلَةٍ؛ إِمَّا ثَلَاثِيْنَ سَنَةً وَإِمَّا أَقَلَّ. فَلَا يُوْجَدُ مُدَّعِيْ النُّبُوَّةِ كَذِبًا إِلَّا وَلَا بُدَّ أَنْ يَنْكَشِفَ سِتْرُهُ وَيَظْهَرَ أَمْرُهُ، وَالأَنْبِيَاءُ الصَّادِقُوْنَ لَا يَزَالُ يَظْهَرُ صِدْقُهُمْ بَلْ الَّذِيْنَ يُظْهِرُوْنَ العِلْمَ بِبَعْضِ الفُنُوْنِ وَالخِبْرَةَ بِبَعْضِ الصِّنَاعَاتِ وَالصَّلَاحَ وَالدِّيْنَ وَالزُّهْدَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَمَيَّزَ هَذَا مِنْ هَذَا وَيَنْكَشِفَ، فَالصَّادِقُوْنَ يَدُوْمُ أَمْرُهُمْ، وَالكَذَّابُوْنَ يَنْقَطِعُ أَمْرُهُمْ، هَذَا أَمْرٌ جَرَتْ بِهِ العَادَةُ وَسُنَّةُ اللهِ الَّتِيْ لَنْ تَجِدَ لَهَا تَبْدِيْلًا"ا.هـ.[شرح العقيدة الأصفهانية ص: ٢٠٣].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾، فَهَـذَا النَّبِيُّ الأَكْرَمُ مُحَمَّدٌ ﷺ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَى رَبِّ العِزَّةِ – وَحَاشَاهُ فِدَاهُ نَفْسِـيْ وَكُلُّ نَفِيْسٍ – لَأَخَذَ مِنْهُ بِاليَمِيْنِ وَلَقَطَعَ مِنْهُ الوَتِيْنَ، فَلَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ نَسَبٌ.

فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَكُوْنُ فَاسِقًا أَوْ ظَالِمًا أَوْ طَاغِيًا فَيُقَاتِلُ عَدُوًا مِنْ جِنْسِهِ أَوْ أَصْلَحَ مِنْهُ أَوْ أَفْسَدَ؛ فَيَنْتَصِـرُ عَلَيْهِ، فَمَتَى مَا زَعَمَ أَنَّ انْتِصَارَهُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَبِتَأْيِيْدٍ مِنْهُ لِأَنَّهُ قَائِمٌ بِأَمْرِهِ؛ هَوَى بِهِ الجَبَّارُ القَهَّارُ أَسْفَلَ سَافِلِيْنَ، وَصَارَ آيَةً لِلْمُتَوَسِّمِيْنَ.

وَلِذَلِكَ كَانَتْ الدَّعَاوَى العَرِيْضَةُ فَضِيْحَةً لِأَصْحَابِهَا إِنْ لَمْ يَكُوْنُوا أَهْلًا لَهَا، فَمُدَّعِي النُّبُوَّةِ، وَمُدَّعِي العِلْمِ، وَمُدَّعِي الوِلَايَةِ، وَمُدَّعِي الإِمَامَةِ، وَمُدَّعِي الخِلَافَةِ.. إِنْ لَمْ يَقُوْمُوا بِحَقِّ هَذِهِ المَقَامَاتِ الشَّرْعِيَّةِ العَظِيْمَةِ كَمَا تَسْتَحِقُّ؛ أَهْلَكَهُمُ اللهُ وَجَعَلَهُمْ آيَةً وَعِبْرَةً.

وَلَقَدْ ضَرَبَ اللهُ لَنَا مَثَلَيْنِ مُعَاصِرَيْنِ حُقَّ لَنَا أَنْ نَتَفَكَّرَ فِيْهِمَا وَنَتَأَمَّلَهُمَا.

الأَوَّلُ: دَوْلَةُ آلِ سَلُوْلِ، أَقَامُوْهَا بِزَعْمِهِمْ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالتَّوْحِيْدِ، وَنَسَبُوْهَا إِلَى الدِّيْنِ، فَقَاتَلَ الطَّاغُوْتُ عَبْدُالعَزِيْزِ بِالإِخْوَانِ المُوَحِدِيْنَ القَبَائِلَ فِيْ نَجْدٍ وَالشَّرِيْفَ فِيْ الحِجَازِ، فَمَكَّنَ اللهُ لَهُ فِيْ سَنَوَاتٍ مَعْدُوْدَاتٍ مِنْ حُكْمِ الحَرَمَيْنِ وَغَالِبِ جَزِيْرَةِ العَرَبِ، ثُمَّ قَتَلَ المُوَحِدِّيْنَ فِيْ مَعْرَكَةِ السَبَلَةِ الشَهِيْرَةِ وَقَتَلَ الإِمَامَيْنِ سُلْطَانَ بْنَ بِجَادٍ العُتَيْبِيِّ وَبَعْدَهُ فَيْصَلَ بْنَ سُلْطَانَ الدُّوَيْشِ المطَيْرِيِّ، وَلَمَّا ظَهَرَ انْحِرَافُهُمْ وَكَذِبُهُمْ وَامْتِطَاؤُهُمْ لِهَذِهِ الدَّعْوَى لِأَجْلِ المُلْكِ وَالسُّلْطَانِ؛ ابْتَلَاهُمْ اللهُ بِأَعْظَمِ بَلِيَّةٍ وَأَخسِّ مَثْلَبَةٍ رَدِيَّةٍ؛ أَلَا وَهِيَ: الكُفْرُ بِاللهِ سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فَمَرَقُوْا مِنَ الدِّيْنِ وَارْتَدُّوْا وَكَفَى بِذَلِكَ عُقُوْبَةً وَبَلَاءً.

الثَّانِيْ: جَمَاعَةُ الإِخْوَانِ، كَذَبُوا عَلَى اللهِ ثُمَّ عَلَى الأُمَّةِ وَخَادَعُوْهُمْ وَادَّعَوْا أَنَّهُمْ يُرِيْدُوْنَ إِقَامَةَ حُكْمٍ إِسْلَامِيٍّ عَنْ طَرِيْقِ البَرْلَمَانَاتِ الطَّاغُوْتِيَّةِ وَالانْتِخَابَاتِ الشِّرْكِيَّةِ، فَلَمَّا وَصَلُوْا لِحُكْمِ مِصْرَ وَلَمْ يَصْدُقُوْا فِيْ دَعْوَاهُمْ، ابْتَلَاهُمْ اللهُ فَوْقَ مَا ابْتَلَى آلَ سَلُوْلٍ.

فَابْتُلُوْا بَعْدَ الكُفْرِ بِاللهِ أَنْ سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنَ مِصْرَ السِّيْسِيَّ فَأَفْنَاهُمْ وَمَحَقَهُمْ يُذَبِّحُ رِجَالَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَلَا يَسْتَحِيِي نِسَاءَهُمْ، وَنَزَلَ بِمِصْرَ مِنَ البَلَاءِ وَالغَلَاءِ وَالشَّقَاءِ مَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، عَذَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾، وَصَدَقَ اللهُ: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾.

وَإِنِّي لَأَزْعُمُ أَنْ مَا يَحِلُّ بِنَا مِنَ المَصَائِبِ وَالنَّكَبَاتِ مِنْ جِنْسِ هَذَا البَابِ، فَادَّعَيْنَا الخِلَافَةَ وَلَمْ نَقُمْ بِحَقِّهَا وَلَا رَعَيْنَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، وَالخِلَافَةُ إِنَّمَا هِي وِرَاثَةُ النُّبُوَّةِ وَخِلَافَةُ الرِّسَالَةِ لِسِيَاسَةِ الأُمَّةِ بِالشَّرْعِ وَرِعَايَتِهِمْ بِالحِكْمَةِ، ثُمَّ ازْدَادَتِ الدَّعْوَى عُرْضًا وَضَخَامَةً وَتَمَادَتْ فِي الكَذِبِ عَلَى اللهِ وَالقَوْلِ عَلَيْهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَقُلْنَا إِنَّهَا "خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ".!!

وَمَا كَانَ اللهُ لِيَدَعَنَا -وَهُوَ الذِيْ يَغَارُ عَلَى مَحَارِمِهِ وَحُدُوْدِهِ أَنْ تُنْتَهَكَ- أَنْ نَدَّعِيَ وِرَاثَةَ النُّبُوَّةِ ثُمَّ نُضَيِّعَهَا فَلَا يَجْعَلُنَا آيَةً وَعِبْرَةً، وَعَلَى الأَقَلِّ لِأَنْفُسِنَا لَعَلَّنَا نَرْعَوِيْ أَوْ نَرْجِعُ أَوْ نَرْتَدِعُ.

فَكَيَانٌ تُؤكَلُ فِيْهِ الحُقُوْقُ، وَيَفْشُــو فِيْهِ الظُّلْمُ، وَتُمْنَعُ فِيْهِ الغَنَائِمُ، وَيُغْصَــبُ فِيْهِ الفَيْءُ، وَيَجُوْعُ أَبْنَاءُ النَّبِيِّ ﷺ وَآلُ بَيْتِهِ وَلَا يَنَالُهُمْ مِنْ سَــهْمِهِمْ نَصِــيْبٌ، وَيَسْــتَحِقُّ أَهْلُ الثُّغُوْرِ وَالجِهَادِ الزَّكَوَاتِ وَالصَّــدَقَاتِ مِنْ فَقْرِهِمْ وَفَاقَتِهِمْ، وَيَتَسَــوَّلُ أَبْنَاءُ المهَاجِرِيْنَ فِي الطُّرُقَاتِ، وَلَا يُعْرَفُ لِأَبْنَاءِ الأَنْصَارِ حَقٌّ وَلَا فَضْلٌ، وَتُسَاوَمُ أَرَامِلُ الشُّهَدَاءِ عَلَى أَعْرَاضِهِنَّ مِنَ العَوَزِ.. فَأَيْنَ مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ مِنْ كُلِّ هَذَا..؟!

كِيَانٌ تَفْشُـوْ فِيْهِ البِدَعُ وَالغُلُوُّ؛ فَيُسَـبُّ فِيْهِ السَّـلَفُ، وَيُلْعَنُ فِيْهِ العُلَمَاءُ، وَيُشْـتَمُ فِيْهِ الصَّـالِحُوْنَ، وَيُرْمَى بِالكُفْرِ فِيْهِ ذَوُوْ السَّـابِقَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيْدِ، وَلَا تَكَادُ تَخْبُوْ نَارُ بِدْعَةٍ إِلَا اشْـتَعَلَ أُوَارُ بِدْعَةٍ أَشْنَعُ وَأَقْبَحُ.. فَأَيْنَ مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ مِنْ كُلِّ هَذَا..؟!

كِيَانٌ يُؤْتَمَنُ فِيْهِ الخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيْهِ الأَمِيْنُ، وَيُسْجَنُ وَيُكَذَّبُ الصَّادِقُ، وَيُوَلَّى وَيُصَدَّقُ الكَاذِبُ، وَيَقْضِــيْ الغَاشِمُ الظَالِمُ، وَيُجْلَدُ البَرِيْءُ، وَيُسْجَنُ المتَّهَمُ الشُّهُوْرَ الطِّوَالَ بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ، وَيُقْتَلُ فِيْهِ المظْلُوْمُ بِغَيْرِ حُجَّةٍ وَلَا بُرْهَان، وَيُحَارَبُ فِيْهِ العِلْمُ وَأَهْلُهُ، وَيُحَذَّرُ مِنْ طَلَبَتِهِ، وَيَتَتَبَّعُهُمْ نَعَاثِلُ سِـفْلَةٌ مِنْ "مُسْـلِمِي الثَّوْرَاتِ" مَا عَرَفُوا خُلُقًا وَلَا وَرَعًا، وَلَا أَحْكَمُوا عِلْمًا وَلَا فَهْمًا، وَمَا شَمَّ أَحَدُهُمْ رَائِحَةَ التَّوْحِيْدِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَحْرَقَ البُوعزِيْزِيُّ نَفْسَـهُ..!! وَإِذَا وُصِفَ طَالِبُ العِلْمِ فَأَقَلُّ مَا يُقَالُ عَنْهُ بِأَنَّهُ: "خَطَرٌ عَلَى الدَّوْلَةِ".. !! فَأَيْنَ مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ مِنْ كُلِّ هَذَا..؟!

وَمَا أَدْرِيْ مَا أَقُوْلُ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي تَبِعَتْ آرَاءً مَشُوْبَةً، وَأَهْوَاءً فَاسِدَةً، وَخَوَاطِرَ وَوَسَاوِسَ مَنْحُوْلَةً مَلْحُوْنَةً، وَفُرُوْعًا لَمْ يُؤَسَّسْ لَهَا أُصُوْلٌ، وَأُصُوْلًا لَمْ تُشْــرَعْ عَلَى نَهْجِ الرَّسُوْلِ، لَا جَرْمَ فَقَدِ اتَّسَعَ الفَتْقُ عَلَى الرَاتِقِ، وَاشْتَبَهَ الأَمْرُ عَلَى المسْتَبْصِرِ، وَخَاسَتْ مِنَ العِلْمِ البَضَائِعُ، وَبَارَتْ بِحَمَلَتِهِ الصَّـنَائِعُ، وَعَادَ الأَمْرُ إِلَى الهَــزْلِ بَعْدَ الجِدِّ، وَالبَاطِلِ المزَيَّنِ بِالبَهْرَجِ، وَذَهَبَ التُقَى، وَسَقَطَ الوَرَعُ، وَهُجِرَ التَّوَرُّعُ، وَصَارَ الجَوَابُ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ دَقَّتْ أَوْ جَلَّتْ، أَوِ اتْضَحَتْ أَوْ أَشْكَلَتْ، أَيْسَــرَ عَلَى أَحَدِهِمْ مِنْ شُرْبِ نُضَاضَةِ مَاءٍ، وَلَوْ نَزَلَتْ بِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَجَمَعَ لَهَا الفُقَهَاءَ، فَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ.

فَلَا تَعْجَبْ إِذَنْ أَيُّهَا "الخَلِيْفَةُ" أَنْ ضَاعَ بَعْدَ اتْسَاعٍ سُلْطَانُكَ، وَهَبَطَ بَعْدَ إِذْ كَانَ عَظِيْمًا شَانُكَ، وَأَنْ تَزُوْلَ مِنْ تَحْتِ يَدِكَ الدَّوْلَةُ وَأَنْتَ تَنْظُرُ لَا تَقْوَى عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ، لَا تُحَرِّكُ سَاكِنًا وَلَا تُسَكِّنُ مُتَحَرِّكًا.

فَيَا حَسْــــرَةً عَلَى دِمَاءِ مِئَاتِ أُلُوْفِ الشُّهَدَاءِ الَّتِي سَالَتْ لِأَجْلِ هَذَا البُنْيَانِ، وَيَا ضَيْعَةَ آلَافِ الأُسَرِ وَالعَوَائِلِ الَّتِي هَاجَرَتْ تَرْجُو تَحْقِيْقَ الحُلُمِ الَّذِي طَالَمَا تَحَدَّثُوا بِهِ كَالأَسَاطِيْرِ.. ثُمَّ وُلِّيْتَ أَمْرَهُ فَأَضَعْتَهُ وَلَمْ تَقُمْ بِهِ حَقَّ القِيَامِ، فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ مَاذَا أَصَابَكَ أَوْ دَهَاكَ..؟!

مَـــنْ مُبْلِـــغٌ عَنِّـــي "الإِمَـــامَ" الَّـــذِيْ ... قَـــامَ بِـــأَمْرٍ بَـــيِّنٍ سَـــاطِعِ
إِنِّي نَـــذِيْرٌ لَـــكَ مِـــنْ مِحْنَـــةٍ ... سَـــارَ بِهَـــا ذُوْ رَحِـــمٍ قَـــاطِعِ
إِنَّـــا وَمَـــا نُنْكِـــرُ مِـــنْ قَوْمِنَـــا ... كَـــالثَّورِ إِذْ قُـــدِّمَ لِلنَـــاقِعِ
أَوْ كَـــالَّتِي يَحْسَـــبُهَا أَهْلُهَـــا ... عَـــذْرَاءَ بِكْـــرًا وَهْـــيَ فِي التَّاسِـــعِ
كُنَّـــا نُـــدَارِيْهَا وَقَـــدْ مُزِّقَـــتْ ... وَاتَّسَـــعَ الخَـــرْقُ عَـــلَى الرَّاقِـــعِ

إِنَّ الأَسْبَابَ الدَاخِلِيَّةَ لِفَنَاءِ الدُّوَلِ كَثِيْرَةٌ يُحْصِيْهَا مَنْ تَأَمَّلَ التَارِيْخَ وَنَظَرَ فِي سُنَنِ المَلِكِ القَهَّارِ الحَكِيْمِ الخَبِيْرِ فِي البَشَـــرِ وَالأُمَمِ، وَلَقَدِ اجْتَمَعَ مِنْ أَسْبَابِ الفَنَاءِ فِي دَوْلَتِنَا هَذِهِ مَا لَوِ اجْتَمَعَ بَعْضُهُ عَلَى أَعْظَمَ مِنْهَا لَأَبَادَهَا وَأَفْنَاهَا.. فَأَيْنَ المَفَرُّ وَالمُسْتَقَرُّ..؟! ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾.

فَمِنِ انْحِرَافِ المَنْهَجِ وَانْقِلَابِ المَبَادِئِ وَالانْتِكَاسِ عَلَى العَقِبِ وَنَقْضِ الغَزْلِ بَعْدَ القُوَّةِ فَصَارَ كَالْعِهْنِ المَنْفُوْشِ، وَجُنُوْحٍ وَسُعَارٍ نَحْوَ الغُلُوِ، وَانْدِفَاعٍ وَهُجُوْمٍ نَحْوَ تَبْدِيْعِ الأَسْلَافِ وَتَكْفِيْرِ الأَخْلَافِ، وَحَسْبُكَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الدَّفَّةَ قَدِ انْحَرَفَتْ قَوْلُ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا، فَلْيَنْظُرْ، فَإِنْ رَأَى حَرَامًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَلَالًا أَوْ يَرَى حَلَالًا مَا كَانَ يَرَاهُ حَرَامًا فَقَدْ أَصَابَتْهُ»[مصنف ابن أبي شيبة ٧/٤٧٤] وَهَذَا السَّبَبُ المُفْنِي هُوَ أَعْظَمُ البَلَاءِ وَأَضَرُّ الأَدْوَاءِ، وَهُوَ تَاللهِ دَاءٌ عُضَالٌ لَا عِلَاجَ مَعَهُ –إِذَا اسْتَحْكَمَ وَقَدْ– إِلَّا الكَيُّ، وَلَا طِبَّ لَهُ –إِذَا

اسْتَفْحَلَ وَقَدْ -إِلَّا البَتْرُ، فَإِنَّ الفِتْنَةَ مَخُوْفَةٌ وَهِيَ نَائِمَةٌ، فَكَيْفَ وَقَدْ أُوْقِظَتْ وَتَسَلَّقَتْ وَتَسَلَّطَتْ وَاغْتَلَمَتْ..؟! لَعَنَ اللهُ مَنْ أَيْقَظَهَا وَسَلَّطَهَا، وَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِليهِ رَاجِعُوْنَ.

ثُمَّ تَبِعَ هَذِهِ الفِتْنَةَ تَوْلِيَةُ أَهْلِ البِدَعِ وَالجَهْلِ وَقِلَّةِ الدِّيْنِ وَالوَرَعِ وَالعِلْمِ أَخْطَرَ المَنَاصِبِ وَالوِلايَاتِ الشَّرْعِيَّةِ؛ الَّتِي لَا يَحِلُّ تَوْلِيَتُهُمْ عَلَيْهَا بِإِجْمَاعِ الأُمَّةِ، وَلَقَدْ رُوِيَ فِيْ المُسْنَدِ: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ».

وَلَا تَعْجَبْ، فَبَعْضُ أُمَرَائِكَ عَلَيْنَا سَجدَ الجُنُوْدُ شُكْرًا للهِ يَوْمَ شَاعَ نَبأُ مَقْتَلِهِ، وَبَعْضُهُمْ -مِمَّنْ لَا زَالَ حَيًّا- يَقْنُتُ عَلِيهِ القَائِمُوْنَ، وَيَدْعُو عَلَيْهِ السَّاجِدُوْنَ بِأَنْ يُلْحِقَهُ بِسَلَفِهِ، وَلَسْتَ يَا إِبْرَاهِيْمُ -واللهِ- مِنْ سِهَامِ هَؤُلَاءِ الصَّالِحِيْنَ بِسَالِمٍ وَلَا بَعِيْدٍ..!

يَا وَيْحَ مَيْتٍ لَمْ يَبْكِهِ أَحَدٌ ... أَجَلْ، وَلَمْ يَفْتَقِدْهُ مُفْتَقِدُ

بَلْ زَعَمُوا أَنَّ أَهْلَهُ فَرِحَا ... لَمَّا أَتَاهُمْ نَعْيُهُ سَجَدُوا(١)

لَيْسَتِ القَضِيَّةُ -فَحَسْبُ- بَيَانَاتِ ضَلَالٍ تَصْدُرُ مِنْ هَاهُنَا أَوْ تَعْمِيْمَاتِ زَيْغٍ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ، مَا شَمَّتْ -لَا هِيَ وَلَا كُتَّابُهَا- رَائِحَةَ الأَثَرِ، وَلَا عَرَفَتْ -لَا هِيَ وَلَا كُتَّابُهَا- بَهَاءَ الدَّلِيْلِ وَلَا صِحَّةَ النَّظَرِ، شَقَّتِ الجَمَاعَةَ إِلَى فِرَقٍ لَا فَرِيْقَيْنِ، وَفَرَّقَتِ الأُمَّةَ إِلَى أَحْزَابٍ لَا حِزْبَيْنِ، فَكَفَّرَ وَلَعَنَ الأُمَرَاءُ وَالجُنْدُ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، وَتَشَظَّتِ الأُخُوَّةُ فَعَضَّ أُولُو النُّهَى الأَنَامِلَ كَمَدًا وَغَيْظًا،

---

(١) بل والله لقد سمعت أحد طلبة العلم الصالحين المهاجرين المبتَلَين المظلومين يدعو على أبي محمد الفرقان -وقد ظلمه وأهانه- بعد مقتله دعاء يخلع القلوب: "اللّهم لا تغفر له.. اللّهم لا ترحمه.. اللّهم لا تتقبله في الشهداء.."..!!
قال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لو قُتِلَ عَدُوُّ الإنسانِ ظلماً وتعدياً فَسَرَّهُ قَتْلُه وفرح به، هل يكون ذلك سروراً بمعصية الله أم لا؟ قلت: إن فرح بكونه عُصـي الله فيه فبئس الفرح فرحه، وإن فرح بكونه تخلص من شره، وخلص الناس من ظلمه وغشمه، ولم يفرح بمعصية الله بقتله، فلا بأس بذلك؛ لاختلاف سببي الفرح "ا.هـ. [القواعد ٢/٣٩٧].

وَكَانَتْ كَكُرَةِ لَهَبٍ أَلْقَاهَا إِبْلِيْسُ -عَلَى يَدِ أَوْلِيَائِهِ- فِي مَجْمَعٍ آمِنِيْنَ غَافِلِيْنَ، هَانِئِيْنَ مُطْمَئِنِّيْنَ، فَأَحَالَتْ جَمْعَهُمْ مُبَعْثَرًا وَسَالِمَهُمْ مُكَسَّرًا[١].

لَكِنَّ القَضِيَّةَ أَعْظَمُ وَالمصِيْبَةَ أَدْهَى وَأَمَرُّ، فَمَنْهَجُ هَذِهِ الجَمَاعَةِ لَمْ يَتَعَرَّضْ لِهِزَةٍ وَانْقِلَابَةٍ عَنِيْفَةٍ كَهَذِهِ الَّتِي مَرَّتْ بِهِ هَذِهِ الأَيَّامُ، وَلَئِنْ كَانَ -فِيْمَا مَضَى- نَصْرُ اللهِ حَلِيْفَهَا وَتَوْفِيْقُ اللهِ رَفِيْقَهَا، فَاذْكُرْ كَلِمَةَ مُتَحَدِّثِهَا الرَّسْمِيِّ -تَقَبَّلَهُ اللهُ- حِيْنَ قَالَ: "اللَّهمَ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةَ دَوْلَةَ خَوَارِجَ: فَاقْصِمْ ظَهْرَهَا، وَاقْتُلْ قَادَتَهَا، وَأَسْقِطْ رَايَتَهَا، وَاهْدِ جُنُوْدَهَا إِلَى الحَقِّ"ا.هـ. فَإِنِّيْ أَرَى مِصْدَاقَ هَذَا الدُّعَاءِ يَتَحَقَّقُ فِيْنَا بِقَدْرِ تَوَغُلِ هَذِهِ البِدْعَةِ.. كَيْفَ وَقَدْ قَالَ مَلَايِينُ المسْلِمِيْنَ بَعْدَ سَمَاعِ دُعَائِهِ: "آمِيْنَ.. آمِيْنَ.." وَإِلَى اللهِ المشْتَكَى.

ثُمَّ لَمْ تَكْتَفِ الجَمَاعَةُ بِهَذَا الانْحِرَافِ المنْهَجِيِّ حَتَّى تَهَاوَتْ فِي مَزَلَّةٍ مُدْحِضَةٍ بَاقِعَةٍ، وَمَهْلَكَةٍ مُفْنِيَةٍ قَارِعَةٍ، أَلَا وَهِيَ حَرْبُ طَلَبَةِ العِلْمِ وَازْدِرَاؤُهُمْ وَاحْتِقَارُهُمْ وَالتَّنْقِيْصُ مِنْ قَدْرِهِمْ وَتَتَبُّعُ زَلَّاتِهِم وَسَقَطَاتِهِمْ وَالحِرْصُ عَلَى إِسْقَاطِهِمْ، بَلْ تَمَادَى الأَمْرُ إِلَى اقْتِحَامِ بُيُوْتِهِمْ وَسَوْقِهِمْ كَالنِّعَاجِ وَحَبْسِهِمْ فِي الزَّنَازِيْنِ، ثُمَّ التَّهْدِيْدِ بِقَتْلِهِمْ، بَلْ لَعَلَّهَا قَتَلَتْ بَعْضَهُمْ وَقَالَتْ: "طَائِرَاتُ الصَّلِيْبِيِّيْنَ"..!!

فَلَمْ يَكْتَفِ رُؤُوْسُ الجَمَاعَةِ بِإِسْقَاطِ عَلَمَاءِ الأُمَّةِ الموَحِّدِيْنَ الصَّادِقِيْنَ الموَالِيْنَ لَنَا خَارِجَ الدَّوْلَةِ، كَمَنْعِ كُتُبِ الشَّيْخِ الإِمَامِ المحَدِّثِ نَاصِرِ بنِ حَمَدٍ الفَهْدِ -الَّذِيْ بَايَعَكَ بِخَطِّ يَدِهِ مِنْ قَعْرِ زِنْزَانَتِهِ- وَكُتُبِ الشَّيْخِ العَلَّامَةِ عَلِيْ الخُضَيرِ وَغَيْرِهِمْ -فَكَّ اللهُ أَسْرَهُمْ وَعَجَّلَ هِجْرَتَهُمْ-، بَلْ

---

(١) لقد كُتِبَ إليك في شأن هذه البيانات والتعميات -وحقها أن تسمى ضلالات وتعميات- الكثيرُ من الرسائل والردود مما يكفي للقطع بإقامة الحجة وإزالة الشبهة ورفع الإشكال ونقض البدع التي تفوح منها بالدليل والبرهان، وفيها كتب الشيوخ الأفاضل والأعلام الأماثل أبو همام وأبو عبد البر وأبو عبد الرحمن السلطان وأبو يعقوب المقدسي وأوس النجدي وأبو محمد الأزدي وأبو عثمان النجدي وغيرهم؛ ثم جالسك الشيخ أبو بكر القحطاني فناصحك وبيَّن لك، وطلب لقاءك الشيخ أبو عبدالرحمن الزرقاوي فأبيت لقاءه -تقبل الله الشهداء وحفظ الأحياء- وفيما صنعوا -جزاهم الله خيرا- كفاية بإذن الله، ولن أختزل الكلام والمشكلة في الوقوف مع ترَّهات هذه البيانات بل الأمر أعظم وأطم، وما هذه البيانات إلا ظل لضلع معوج، ولحاء مهترئ لشجرة نخر سوس البدعة فيها.

عَطَفَتْ عَلَى الشُّيُوْخِ وطَلَبَةِ العِلْمِ وَالفُضَـلَاءِ فِي دَاخِلِهَا فَتَتَبَّعَتْهُمْ وَلَعَنَتْهُمْ، فَمَنْ صَـنَّفَ يَوْمًا لِهَذِهِ الجَمَاعَةِ: "مُدُّوا الأَيَادِيْ لِبَيْعَةِ البَغْدَادِيْ" وَصَـنَّفَ دِفَاعًا عَنْكَ: "الخَلِيْفَةُ بَيْنَ النَسَّـابَةِ وَالسَّبَابَةِ" صَارَ يُرْمَى بِالشِّـرْكِ وَالرِّدَّةِ زُوْرًا وَبُهْتَانًا، وَيُلْعَنُ فِي المسَاجِدِ وَالمعَاهِدِ، وَهُوَ الطَاهِرُ المبَرَّأُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ -أَحْسَـبُهُ واللهُ حَسِـيْبُهُ-، فَأَيُّ كُفْرَانٍ لِلْمَعْرُوْفِ بَعْدَ هَذَا الكُفْرَانِ، وَأَيُّ نُكْرَانٍ لِلْجَمِيْلِ بَعْدَ هَذَا النُّكْرَانِ..؟!

وَلَقَدْ كَانَ سَلَفُكَ أَبُوْ عُمَرَ أَكْثَرَ وَفَاءً لِأَصْحَابِهِ مِنْكَ حِيْنَ رَثَى صَاحِبَهُ مَيْسَـرَةَ الغَرِيْبَ لَـمَّا قُتِلَ -تَقَبَّلَهُمَا اللهُ-، وَإِنِّي لَأَحْسَبُ أَنَّ فَضْلَ أَبِيْ هَمَّامٍ -تَقَبَّلَهُ اللهُ- عَلَيْكَ وَعَلَى هَذِهِ الدَّوْلَةِ أَضْعَافَ فَضْـلِ مَيْسَــــرَةَ الغَرِيْبِ -عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِ وَعِظَمِ أَمْرِهِ-، وَلَمْ تُكَلِّفْ نَفْسَـكَ وَلَا مُتَحَدِّثَكَ الرَّسْـمِيَّ -وَقَدْ أَخْرَجَ كَلِمَةً بَعْدَ مَقْتَلِهِ- وَلَا إِعْلَامَ دَوْلَتِكَ رِثَاءَهُ بِنِصْـفِ كَلِمَةٍ، وَرَأَيْنَا إِعْلَامَ العَالَمِ كُلِّهِ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَقْتَلِهِ؛ وَإِعْلَامُ دَوْلَتِهِ الَّتِي نَصَرَهَا حَتَّى فِيْ وَصِيَّتِهِ بَعْدَ مَقْتَلِهِ لَمْ يَأْبَهْ لَهُ[1].

ثُمَّ عَادَ الحَمْقَى وَالنَّوْكَى وَالسُّـفَهَاءُ -وَخَاصَّـةً بَعْضُ دَعَامِيْصِ الإِعْلَامِ- يُعْمِلُوْنَ عُقُوْلَهُمُ الخَرِبَةَ العَفِنَةَ، وَزُبَالاتِ أَفْهَامِهِمُ النَّتِنَةَ فِي عُلَمَاءِ الأُمَةِ الأَوَائِلِ بِأَثَرٍ رَجْعِيٍّ كَالرَّجِيْعِ، فَابْنُ قُدَامَةَ المَقْدِسِيُّ مُفَوِّضٌ لَا نَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ، وَابْنُ تَيْمِيَّةَ يَعْذُرُ بِالجَهْلِ فَنَنْتَبِهُ مِنْ أَقْوَالِهِ، وَالنَوَوِّيُ عِنْدَهُ تَمَشْعُرٌ نُحَذِّرُ مِنْهُ، -رَحِمَهُمُ اللَّهُ جَمِيْعًا وَعَافَاهُمْ مِنْ هَذَا السَّفَهِ العَقِيْمِ-.

فَأَسْقَطُوا الأَحْيَاءَ وَالأَمْوَاتَ، وَحَسِبُوا أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِلْإِسْلَامِ إِلَا هُمْ لِيُجَدِّدُوا مَا انْدَرَسَ مِنْ مَعَالِمِهِ وَيُحْيُوا مَا مَاتَ مِنْ أَعْلَامِهِ، وَهُمْ واللهِ مَنْ دَرَسَها وَأَمَاتَها قَبَّحَهُمُ اللهُ وَعَجَّلَ هَلَاكَهُمْ.

---

(١) ولقد أكرمني الله فرثيت الشيخ أبا همام -في خطبة لا توفيه حق أُخُوَّته وصحبته - في الثامن والعشرين من رمضان الفائت، فلما نزلت من المنبر تلقاني أحد بقايا الصـالحين العالمين في الأمن-﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾- فسـألته عن سـبب اعتقال الشيخ أبي عبد البر فأجاب: "لأنه صنع ما صنعت اليوم"..!! وكان قد رثاه قبل سجنه بأيام، ومن نافلة القول أن تعلم أن الجند يتحدثون فيما بينهم أن قتل أبي همام كان مدبرا بليل ممن كتب أو أيَّد تعميم الضـلالة الذي رد عليه أبو همام، وذلك لأنه أشيع أن قتله كان قبل يوم واحد من موعد مقابلته لك حتى يناصحك في أمر هذا التعميم، والله أعلم بالحقيقة، إن ﴿اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، وقد ابتلينا أيامَ الأَسْرِ في سجون الطواغيت ببعض سفلة الغلاة ممن يتدينون بتبليغ الطواغيت عنا، لكونهم يكفروننا، فلا أستبعد وجود أمثالهم بيننا اليوم فيتدينون برمي شريحة أو تحديد موقع وإرساله للصليبيين.

وَقَدْ ذُكِرَ فِي الأَثَرِ: «إِنَّ خَيْرَ الأُمَرَاءِ مَنْ أَحَبَّ العُلَمَاءَ» وَالعَكْسُ بِالعَكْسِ صَحِيْحٌ، وَلَقَدْ قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "مَنِ اسْتَخَفَّ بِالْعُلَمَاءِ ذَهَبَتْ آخِرَتُهُ" فَلَقَدْ صَارَ هَذَا الاسْتِخْفَافُ دَيْدَنُ القَادَةِ وَالأُمَرَاءِ الَّذِيْنَ وَلَّيْتَهُمْ عَلَى رِقَابِنَا، وَغَدَا حَدِيْثُهُمْ الممْجُوْجُ وَاسْطُوَانَتُهُمْ المشْرُوْخَةُ "الشَّرْعِيُّوْنَ خطَرٌ عَلَى الدَّوْلَةِ"(١)، وَ"طَالِبُ العِلْمِ أَخْطَرُ شَيْءٍ عَلَى الدَّوْلَةِ"(٢)، وَ"مُشْكِلَةُ الإِخْوَةِ أَنَّهُمْ يَنْجَرُّوْنَ خَلْفَ طَلَبَةِ العِلْمِ"(٣)..!! فَهَذِهِ اللَّجْنَةُ الَّتِيْ وَلَّيْتَهَا عَلَيْنَا وَهَذِهِ عِبَارَاتُهُمْ وَكَلِمَاتُهُمْ؛ فَقَبَّحهم اللهُ وَلَعَنَهُم لَعْنَةً تَدْخُلُ مَعَهُمْ قُبُوْرَهُمْ ثُمَّ تُوْرِدُهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ القَرَارِ..!!

إِذَا سَفَّهَ الطَّائِيَّ بِالبُخْلِ مَادِرٌ ... وَعَيَّرَ قَسًّا بِالفَهَاهَةِ بَاقِلُ
وَقَالَ السُّهَا لِلشَّمْسِ أَنْتِ خَفِيَّةٌ ... وَقَالَ الدُّجَى لِلصُّبْحِ لَوْنُكَ حَائِلُ
فَيَا مَوْتُ زُرْ إِنَّ الحَيَاةَ ذَمِيْمَةٌ ... وَيَا نَفْسُ جِدِّيْ إِنَّ دَهْرَكِ هَازِلُ

لَئِنْ كَانَ رَبُّ العِزَّةِ يَقُوْلُ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾، وَيَقُوْلُ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وَيَقُوْلُ: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، وَيَقُوْلُ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ ثُمَّ نَجِدُ أُمَرَاءَكَ وَخَاصَّةَ بِطَانَتِكَ يُحَارِبُوْنَ طَلَبَةَ العِلْمِ وَيَحْقِرُوْنَهُمْ، فَهَلْ تَرْجُوَنَّ بَعْدَ ذَلِكَ نَصْرًا أَوْ تَوْفِيْقًا(٤)..؟!

(١) قالها شيبة السوء عبد الناصر للشيخ أبي عبد البر الصالحي الكويتي –تقبله الله– وحدثني هو بها، وعبد الناصر حينها أمير اللجنة المفوضة، فاللهم فوضناك في خصومتهم ففوض ملائكة عذابك بأمرهم.

(٢) قالها أبو إسحاق العراقي لجمع من القضاة في ولاية الخير وحدثوني بها، هذا الذي ولَّيْتَهُ من بين أعضاء اللجنة المفوضة على القضاء والمظالم، فأما القضاء فأفسده وبدله وغيره، وأما المظالم فلقد كان –حقا وصدقا –المسؤول عنها.

(٣) قالها أبو حفص "الجزراوي" لأحد الولاة وحدثني بها، وهو قِنٌ مملوك سيأتي بسط الكلام عليه، بسط الله له من جهنم مهادا وفرش عليه غواشا.

(٤) ولقد عَمِلْتُ في مكتب البحوث والدراسات "ديوان الإفتاء" مدة من الزمن ورأيتُ –ما لم ير غيري– من التضييق على العلم ونشره وعلى طلبته ما يعتصر له القلب ألما وكمدا، ولو أخذت أسهب في هذا لكتبت كتابا يعادل رسالتي هذه كلها في طوله، فبعد أن كان "ديوانا" أصبح "هيئة" ثم "مكتبا" حتى تندر علينا الشيخ أبو عبد البر تقبله الله قائلا: "أخشى أن يصبح دُرْجا بعد أيام" وقد أصبح ويا ليته درج مفتوح بل مغلق مقفول.!! ويكفي أن تعلم أن مكتبة الهمة مُنعت من طباعة أكثر كتب مكتب البحوث والدراسات وإنتاجه –والذي يزيد بمجموعه على سبع مجلدات– بحجة العجز المالي..!! وأن كثيرا مما طبع من إنتاج المكتب كان بتبرعات المحسنين من الإخوان.! وكان يضيق على أبي همام

وَآخِرُ النَّكَبَاتِ المدْلهِمَّةِ، وَالمخَازِي المذِلَّةِ المؤْذِنَةِ بِهلاكِ الأُمَّةِ؛ الَّتِي تَبِعَهَا انْفِرَاطُ عِقْدِ الجَمَاعَةِ، وَدَوَّى انْهِيَارُ كِيَانِهَا دَوِّيًا أَمْكَنَ الأَصَمُّ سَمَاعَهُ: مَقْتَلُ الشَّيْخِ العَالِمِ الجَلِيْلِ وَالمهَاجِرِ النَّبِيْلِ المحَدِّثِ الحَافِظِ القَاضِيْ أَبِي عَبْدِ البَرِّ الصَالحِيِّ الكُوَيْتِيِّ -تَقَبَّلَهُ اللهُ- فِي سُجُوْنِ جَلَاوِزَتِكَ فِي دِيْوَانِ الأَمْنِ، فَقَدْ صَرْحَ -عَدُوُّ اللهِ وَكِتَابِهِ[1]- أَبُوْ حَفْصٍ الجَزْرَاوِيُّ -حَفَصَهُ اللهُ وَصَحْبَهُ فِيْ قَعْرِ مَامُوْسَةٍ هَاوِيَةٍ- بِأَنَّهُ هُوَ مَنْ أَمَرَ بِحَبْسِهِ[2]، وَكَانَ حَبْسُهُ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ نَصِيْحَةً لِبَيَانِ بَاطِلِ

تقبله الله كثيرا في نقل الباحثين وطلبة العلم إلى المكتب، ولو كان المكتب ذا شأن وأهمية عند أصحاب القرار لدعموه بأحسن الكوادر وأنجب طلبة العلم كما يحصل في هيئة التصنيع أو هيئة الركاز..! ولقد كان أبو همام رجلا حييا قليل الشكوى صبورا على الأذى. وأما التضييق على حملة العلم فيكفي أن تسأل عما تعرض له الشيخ الصالح المسدد العابد العالم النافر إلى الرقة بعد إذ فر الناس منها أبو المنذر المدني (الحربي)-حفظه الله أحسبه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدا- من الأذى وما سمعه من القحة والفحش حتى تعلم طرفا من ذلك، هذا غيض من فيض وما خفي كان أعظم، وفي القلب غصات وغصص، فحُقَّ والله لحملة العلم في "دولة الإسلام" أن يتمثلوا ببيت أبي العلاء إذ يقول:

إِذَا كَانَ عِلْمُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَافِعٍ ... وَلَا دَافِعٍ، فَالخُسْرُ لِلْعُلَمَاءِ
قَضَى اللهُ فِيْنَا بِالَّذِيْ هُوَ كَائِنٌ ... فَتَمَّ، وَضَاعَتْ حِكْمَةُ الحُكَمَاءِ

(١) ولا حرج في إطلاق هذه الكلمة، فقد صحَّ أن عمر قالها لأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في أقل من هذا، فعَنِ ابْنِ سِيرِينَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ اسْتَعْمَلَ أَبَا هُرَيْرَةَ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، فَقَدِمَ بِعَشَرَةِ آلَافٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: اسْتَأْثَرْتَ بِهَذِهِ الْأَمْوَالِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، وَعَدُوَّ كِتَابِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «لَسْتُ عَدُوَّ اللَّهِ، وَلَا عَدُوَّ كِتَابِهِ، وَلَكِنِّي عَدُوُّ مَنْ عَادَاهُمَا» ، قَالَ: فَمِنْ أَيْنَ هِيَ لَكَ؟ قَالَ: «خَيْلٌ لِي تَنَاتَجَتْ، وَغُلَّةُ رَقِيقٍ لِي، وَأُعْطِيَةٌ تَتَابَعَتْ عَلَيَّ» فَنَظَرُوهُ، فَوَجَدُوهُ كَمَا قَالَ.[جامع معمر بن راشد ٢٠٦٥٩]، فلئن قالها عمر في من شك في أنه أضاع مال المسلمين وسرق منه، فكيف بمن أضاع دينهم وسرق عقيدتهم ومنهجهم..؟! وأما اللعن فقد تكرر في كتاب الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وسنة نبيه ﷺ لعن الظالمين، وقد قال ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -كما في البخاري-: «مَالِي لاَ أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ النَّبِيُّ ﷺ».

(٢) هذا القِنُّ الذي كان قبل سنوات يسيرة مرتدا يعمل جلوازا خادما عند عسكر طواغيت آل سلول، ولم يشم رائحة الإسلام إلا بعد قدومه الشام -مع أننا لا نعلم يقينا أنه استتيب أو تاب-، وأما العلم فوالله ما شمَّ رائحته لا من قبل ولا من بعد فهو أجهل من حمار أهله -ولو أراد الله به خيرا لفقهه في الدين كما في حديث معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عند البخاري-، ثم بعد قدومه للشام خذَّلَ الشيخَ عمر الشيشاني -تقبله الله- عن بيعة الدولة، وقال:"لو أن كل الناس بايعت الدولة ما بايعتها" -والشهود على ذلك لا زالوا أحياء-، واليوم يتسلط على رقاب قدامى المجاهدين ومشايخ الموحدين، فيرمي أبا همام الأثري بالردة ويرمي أبا عبد البر في السجن، وحين ابتلي هؤلاء الأئمة الأفاضل لأجل التوحيد والجهاد وصدعوا به؛ كان هذا علجا غارقا في حمأة الردة والكفر، فواعجبا.! ولقد رُوِي أَن عَمْرو بْن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ تطاول ليدخل فِي الشورى بعد مقتل عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فَقَالَ لَهُ عُمَر:"لا أجعل فِيهَا أحدا حمل السلاح عَلَى نبي الله".

وَضَـلَالِ التَّعْمِيْمِ الأَخِيْرِ -الَّذِيْ أُضِـلَّتْ بِهِ الأُمَّةَ وَكُذِبَ بِهِ عَلَى اللهِ وَدِيْنِهِ ثُمَّ عَلَى أُمَرَاءِ هَذِهِ الجَمَاعَةِ مُنْذُ تَأسِيْسِهَا-، وَخَطَبَ -تَقَبَّلَهُ اللهُ- بَعْدَ ذَلِكَ فِيْ رِثَاءِ الشَّيْخِ أَبِيْ هَمَّامٍ -تَقَبَّلَهُ اللهُ- الَّذِيْ يَتَحَدَّثُ بِكُفْرِهِ وَرِدَّتِهِ أُمَرَاءُ وَأَعْضَاءُ اللَّجْنَةِ المشْؤُوْمَةِ الَّتِيْ وَلَّيْتَهَا عَلَيْنَا، فَدُوْهِمَ المنْزِلُ الذِيْ كَانَ فِيْهِ الشَّيْخُ زَائِرًا عِنْدَ سَاعَةِ الإِفْطَارِ فِيْ شَهْرِ رَمَضَانَ الكَرِيْمِ المعَظَّمِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ بِنَحْوِ عِشْرِيْنَ جَلْوَازًا مِنْ جَلَاوِزَةِ الأَمْنِ ثُمَّ اقْتِيْدَ أَسِيْرًا كَسِيْرَ الجَنَاحِ، وَحُشِرَ فِي مَحْبَسٍ ضَيِّقٍ قَدِيْمٍ(١) مَشْهُوْرٍ مَعْرُوْفٍ لِلْأَعْدَاءِ؛ ظَهَرَتْ صُوْرَتُهُ عَلَى قَنَوَاتِهِمْ بِأَنَّهُ أَحَدُ سُجُوْنِ الدَّوْلَةِ؛ وَمَعَهُ أَزْيَدُ مِنْ سِتِّيْنَ مُجَاهِدًا عَامَّتُهُمْ مِنْ خِيْرَةِ المجَاهِدِيْنَ المعْرُوْفِيْنَ بِالصَّلَاحِ وَالسَّابِقَةِ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: " وَكَانَ عُمَرُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِرَاسَةً، وَأَخْبَرِهِمْ بِالرِّجَالِ... وَمَا اسْتَعْمَلَ عُمَرُ قَطُّ؛ بَلْ وَلَا أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ: مُنَافِقًا... بَلْ لَمَّا قَاتَلَا أَهْلَ الرِّدَّةِ وَأَعَادُوهُمْ إلَى الْإِسْلَامِ مَنَعُوهُمْ رُكُوبَ الْخَيْلِ وَحَمْلَ السِّلَاحِ...وَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَهُوَ أَمِيرُ الْعِرَاقِ: لَا تَسْتَعْمِلْ أَحَدًا مِنْهُمْ، وَلَا تُشَاوِرْهُمْ فِي الْحَرْبِ...فَهَؤُلَاءِ لَمَّا تَخَوَّفَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ نَوْعَ نِفَاقٍ لَمْ يُوَلُّوْهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ"ا.هـ.[الفتاوى الكبرى ٣/ ٤٥٠].

فضلا عن كونه مملوكا ثبت بشهادة الشهود عبوديته ورقُّه وأنه لم يتنسم طعم العتق والحرية بعد؛ إلا ما منَّ به عليه وعلى آبائه طاغوت الجزيرة فيصل بن عبد العزيز حين ألزم القبائل بالعتق غصبا، وهو يزعم الانتساب لقبلية الدواسر، وهي قبيلة فاق عدد عبيدها عدد أحرارها، ثم ينتسب من بين الدواسر إلى الوداعين وقد شهد بعض المهاجرين من الدواسر بأنه عبد لم يعتق بعد، فمن يا ترى يشتريه، وقبلها نسأل من ذا الذي يبيعه..؟!

فهل يحل توليته ابتداء، ثم يولى فيجعل في اللجنة المفوضة..! وقد قال الإمام الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: " الْحُرِّيَّةَ مُعْتَبَرَةٌ فِي وَزَارَةِ التَّفْوِيضِ "ا.هـ.[الأحكام السلطانية صـ:٥٩]، ولئن كان العلماء قد قرروا أنه يقدم في الولايات الصالح على الأصلح إن كان الأصلح بغيضا إلى الناس محتقرا في أعينهم، فكيف إن كان بين هذا البغيض المحتقر الجاهل الجهول وبين الصلاح مفاوز تندق فيها ظهور المطي..!! [قرر هذا سلطان العلماء وبائع الملوك المماليك العز بن عبد السلام في قواعده ١/ ١٠٥]، وحاله كما قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ:"لا وجه سميح ولا بنت رجال" [الدرر ٢/ ٤٦].

وما أقرب وصف أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي لحالنا في قوله:

أَكُلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوْءِ سَيِّدَهُ   أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِيْ "الشَّامِ" تَمْهِيْدُ
صَارَ الخَصِيُّ إِمَامَ الآبِقِيْنَ بِهَا   فَالحُرُّ مُسْتَعْبَدٌ وَالعَبْدُ مَعْبُوْدُ

(١) تاريخ هذا السجن يرجع منذ أن كانت جبهة النصرة تسيطر على الميادين -قبل ردتها-..!! فتأمل..

وَالبَذْلِ وَالإِقْدَامِ[(١)]، ثُمَّ تَقْتُلُهُمْ طَائِرَاتُ الصَّلِيْبِ وَتَلْتَقِمُهُمْ حِمَمُ صَوَارِيْخِهِ لُقْمَةً سَائِغَةً بَعْدَ أَنْ وَفَّرَ عَلَيْهِمْ جَلَاوِزَتُكَ تَتَبُّعَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا فَجَمَعُوْهُمْ فِيْ مَخْلَاةٍ وَاحِدَةٍ.

فَلْيَكْتُبِ التَّارِيْخُ -يَا إِبْرَاهِيْمُ- أَنَّ العُلَمَاءَ وَطَلَبَةَ العِلْمِ يُقْتَلُوْنَ فِيْ سُجُوْنِ "الخَلِيْفَةِ" الذِيْ زَعَمَ يَوْمًا بِأَنَّهُ يَسْتَنْفِرُ النَّاسَ وَ"يَخُصُّ طَلَبَةَ العِلْمِ مِنْهُمْ" وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الهِجْرَةِ لِدَوْلَتِهِ؛ -فَلَعَلَّهُ كَمَا كَانَ يَتَنَدَّرُ أَبُوْ عَبْدِ البَرِّ تَقَبَّلَهُ اللهُ- "لِتُمْلَأَ بِهِمُ السُّجُوْنَ إِذَا نَصَحُوْا أَوْ أَنْكَرُوْا"..!!

وَأَبْشِرْ بَعْدَ هَذِهِ الفَاقِرَةِ -إِنْ لَمْ تَتُبْ مِنْهَا وَتَتَدَارَكْهَا وَتُحَاسِبْ مَنْ تَسَبَّبَ بِهَا- بِزَوَالِ حُكْمِكَ وَذَهَابِ دَوْلَتِكَ، وَبَعْدَهَا العَذَابُ الأَلِيْمُ وَالعِقَابُ الوَخِيْمُ.. ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَقَوْلُهُ [أَيْ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ]: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ يُحَذِّرُهُمْ أَنَّ يُسْلَبُوا هَذَا الْمُلْكَ الْعَزِيزَ، **فَإِنَّهُ مَا تَعَرَّضَتِ الدُّوَلُ لِلدِّينِ إِلَّا سُلِبُوا**

(١) ولا زالت جثة الشيخ أبي عبد البر إلى يومنا هذا تحت الأنقاض -حسب زعم ديوان الأمن-، وقد مر على الحادثة أزيد من عشرة أيام ولم تستخرج مما يقوي الشكوك بأنه قتل قبل القصف، ولقد وقفتُ على جثث نحو ثلاثين منهم فرأيت وجوها تعلوها الابتسامة وأيادي تشير بالتوحيد والشهادة، وحدثني الثقة أن بعضهم قد فاحت منه رائحة المسك، فهذه عينة من رواد سجونك..!! ولقد حدثني الثقة عن الإداري العام لديوان الأمن أنهم كانوا قد جهزوا سجونا بديلة آمنة لينقل إليها الإخوة، لكن جاءتهم أوامر بتأخير نقلهم..!! فإن صح الخبر وصدق المخبر فأبشر بتكرار مأساة الجزائر التي افتتحت بالغلو وسارت في العمالة وانتهت بالفناء.

ولقد ذكر أبو العرب التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه المحن، في ذكر محنة الإمام شيخ المالكية سحنون بن سعيد -وقد كان فرَّ في رمضان من الأمير أبي جعفر ابن الأغلب حين امتحن الناس في عقائدهم، فلجأ لأحد العباد اسمه عبد الرحيم الزاهد، فجاء جلاوزة ابن الأغلب فقبضوا عليه في بيت عبد الرحيم الزاهد، فقال عبد الرحيم لرأس الجلاوزة: "قُلْ لِلأَمِيرِ أَوْحَشْتَنَا مِنْ أَخِينَا وَصَاحِبِنَا فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ، فَسَلَبَكَ اللَّهُ الْكَرِيمُ مَا أَنْتَ فِيهِ وَأَوْحَشَكَ مِنْهُ"ا.هـ.[المحن ص:٤٦٣] فلم تمض سنة بعد هذه الحادثة حتى قتل أبو جعفر ابن الأغلب وزال ملكه، فهل يا ترى سلمت من دعوات الصالحين الذين فجعتهم بأسر أبي عبد البر وقتله..؟!

مُلْكَهُمْ وَذَلُّوا بَعْدَ عِزِّهِمْ[1]، وَكَذَا وَقعَ لِآلِ فِرْعَوْنَ؛ مَا زَالُوا فِي شَكٍّ وَرَيْبٍ، وَمُخَالَفَةٍ وَمُعَانَدَةٍ لِمَا جَاءَهُمْ مُوسَى بِهِ، **حَتَّى أَخْرَجَهُمُ اللَّهُ مِمَّا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ** وَالْأَمْلَاكِ وَالدُّورِ وَالْقُصُورِ، وَالنِّعْمَةِ وَالْحُبُورِ، **ثُمَّ حُوِّلُوا إِلَى الْبَحْرِ مُهَانِينَ، وَنُقِلَتْ أَرْوَاحُهُمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالرِّفْعَةِ إِلَى أَسْفَلِ السَّافِلِينَ** "ا.هـ.[البداية والنهاية ٢/٨٦].

وَمَا أَرَى حَالَ اللَّجْنَةِ المشْؤُومَةِ الَّتِيْ وَلَّيْتَهَا عَلَيْنَا وَحَالَ الشَّيْخِ الصَالِحِ أَبِيْ عَبْدِ البَرِّ -تَقَبَّلَهُ اللهُ- إِلَّا كَمَا قَالَ الجَصَّاصُ الحَنَفِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَرَبِ وَلَا آلِ مَرْوَانَ أَظْلَمُ وَلَا أَكْفَرُ وَلَا أَفْجَرُ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عُمَّالِهِ أَكْفَرُ وَلَا أَظْلَمُ وَلَا أَفْجَرُ مِنْ الْحَجَّاجِ وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَوَّلَ مَنْ قَطَعَ أَلْسِنَةَ النَّاسِ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ، صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: (إنِّي وَاَللَّهِ مَا أَنَا بِالْخَلِيفَةِ الْمُسْتَضْعَفِ -يَعْنِي عُثْمَانَ- وَلَا بِالْخَلِيفَةِ الْمُصَانِعِ -يَعْنِي مُعَاوِيَةَ- وَإِنَّكُمْ تَأْمُرُونَنَا بِأَشْيَاءَ تَنْسَوْنَهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاَللَّهِ لَا يَأْمُرُنِي أَحَدٌ بَعْدَ مَقَامِي هَذَا بِتَقْوَى اللَّهِ إلَّا ضَرَبْت عُنُقَهُ) "ا.هـ.[أحكام القرآن ١/٨٧]. فَلَمَّا أَمَرَهُمْ بِتَقْوَى اللهِ وَنَصَحَهُمْ سَجَنُوْهُ وَقَتَلُوْهُ..

إذا كَـانَ "النَّصُـوْحُ" قَلِيْـلَ حَـظٍّ ... فَـمَا حَسَـنَاته إِلَّا ذُنُـوْبُ

وَرَحِمَ اللهُ القَاضِي عَبْدَ الوَهَابِ البَغْدَادِيَّ المَالِكِيَّ إِذْ يَقُوْلُ:

مَتَـى يَصِـلُ العِطَـاشُ إِلَى ارْتِـوَاءٍ ... إِذَا اسْـتَقَتِ البِحَـارُ مِـنَ الرَّكَايَـا
وَمَـنْ يَثْنِـيْ الأَصَـاغِرَ عَـنْ مُـرَادٍ ... وَقَـدْ جَلَـسَ الأَكَـابِرُ فِي الزَّوَايَـا
وَإِنَّ تَرَفُّـعَ الوُضَـعَاءِ يَوْمـاً ... عَـلَى الرُّفَعَـاءِ مِـنْ إِحْـدَى الرَزَايَـا
إِذَا اسْـتَوَتِ الأَسَـافِلُ وَالأَعَـالِي ... فَقَـدْ طَابَـتْ مُنَادَمَـةُ المَنَايَـا

---

(١) وهل حرب الدين إلا بحرب أهله وأوليائه وعلمائه..؟! قال بائع السلاطين العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من قتل إماما عدلا أو مفتيا مبرزا كان عليه إثم القتل وإثم ما فوَّت على المسلمين مما كانوا يقومون به من جلب المصالح ودرء المفاسد"ا.هـ.[قواعد الأحكام ١/١٨١].

لَقَدْ سَاقَ هَذَا القِنُّ الأَسْوَدُ الدَّوْلَةَ إِلَى حَمَاقَةٍ وَسَفَاهَةٍ لَمْ تَقَعْ فِيهَا جَمَاعَةٌ وَلَا دَوْلَةٌ وَلَا حِزْبٌ وَلَا طَائِفَةٌ فِي تَارِيْخِ الأُمَّةِ -اللَّهم إِلَّا أَسْلَافُهُ مِنْ فِرَقِ الخَوَارِجِ الحَرُوْرِيَّةِ- ، وَهُوَ أَنْ تَشْهَدَ الجَمَاعَةُ عَلَى نَفْسِهَا بِالضَّلَالِ وَالانْحِرَافِ وَالخُرُوْجِ عَنْ مِنْهَاجِ أَهْلِ السُّنَةِ وَالجَمَاعَةِ..!!

وَصَدَقَ القَائِلُ:

وَإِنْ يَكُنِ الغُرَابُ دَلِيْلَ قَوْمٍ   يَمُرُّ بِهِمْ عَلَى جِيَفِ الكِلَابِ

فَأَصْدَرَ -قَبْلَ يَوْمَيْنِ- بَيَانًا كَالِحًا كَوَجْهِهِ[1] يَمْنَعُ فِيْهِ تَدَاوُلَ خَمْسِ كُتُبٍ مُعْتَمَدَةٍ مِنْ كُتُبِ المعَاهِدِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ بِزَعْمِهِ أَنَّهَا مُخَالِفَةٌ لِمَنْهَجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ..!!

وَلَا زَالَتْ هَذِهِ الكُتُبُ مُنْذُ أُلِّفَتْ مِنْ عِدَّةِ سَنَوَاتٍ تُدَرَّسُ لِلْنَاسِ -عَامَّةً وَخَاصَّةً-، وَتَخَرَّجَ عَلَى مَا فِيْهَا الفِئَامُ مِنَ المجَاهِدِيْنَ الذِيْنَ ارْتَقَوْا إِلَى رَبِّهِمْ شُهَدَاءَ سُعَدَاءَ بِإِذْنِ اللهِ، فَيَأْتِيْ هَذَا القِنُّ اليَوْمَ وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَفْرَاخِ الأَزْرَقِيَّةِ وَالبَيْهَسِيَّةِ وَالأَخْنَسِيَّةِ الخَوَارِجِ الغُلَاةِ لِيَشْهَدُوْا عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ هَلَكُوا عَلَى البِدْعَةِ وَخِلَافِ السُّنَّةْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

فَإِمَّا أَنَّ الدَّوْلَةَ اهْتَدَتْ بَعْدَ ضَلَالَةٍ، وَكَانَتْ مِنْ قَبْلُ ضَالَّةً تَكْذِبُ عَلَى اللهِ وَالأُمَّةِ حِيْنَ زَعَمَتْ أَنَّهَا عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، أَوْ ضَلَّتْ بَعْدَ الهِدَايَةِ وَانْحَرَفَتْ بَعْدَ الاسْتِقَامَةِ وَعَمِيَتْ بَعْدَ البَصِيْرَةِ، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، وَإِنَّ فِيْ كَلِمَةِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ السَّابِقَةِ: «فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْلَمَ أَصَابَتْهُ الْفِتْنَةُ أَمْ لَا...» جوَابًا لِلْحَائِرِيْنَ[2]، وَلَعَلَّ الأَمْرَ كَمَا قَالَ الإِمَامُ سُحْنُوْنُ بْنُ سَعِيْدٍ حِيْنَ شَكَى لَهُ أَصْحَابُهُ فُشُوَّ بِدْعَةِ المعْتَزِلَةِ بِإِفْرِيْقِيِّةَ: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ قَطْعَ بِدْعَةٍ أَظْهَرَهَا"ا.هـ.[ترتيب المدارك ٤/٧٢].

(١) وقد تهكم هذا القِنُّ على الشيخ أبي همام -تقبله الله- بنحو هذه العبارة فحقه أن ترد في وجهه من باب الانتصار لأهل العلم والمعاملة بالمثل، أحال الله سلامته مرضا؛ وبنيانه أرضا؛ ودعته ضجرا؛ ودوسره جفرا.

(٢) من عجائب المصائب المضحكة المبكية أن كتاب "فقه النوازل" -أحد الكتب الممنوعة- مؤلفه أمير اللجنة المفوضة الجديد "عبد الله" الذي تولى زمام الأمور قبيل أيام من التعميم، فلا أدري كيف تنسجم هذه التركيبة في عقول القوم.؟!!

وَلِسَانُ حَالِ هَذَا القِنِّ -وَرُبَّمَا مَقَالِهِ-: "لَئِنْ كُنْتُمْ تُعَيِّرُوْنَنِيْ بِأَنَّنِيْ كُنْتُ مُرْتَدًا جِلْوَازًا عِنْدَ آلِ سَلُوْلٍ؛ فَلأُخْرِجَنَّكُمْ كُلَّكُمْ مِنَ المِلَّةِ، وَلأُثْبِتَنَّ رِدَّتَكُمْ فَنُصْبِحُ سَوَاءً.!" واللهُ تَعَالَى يَقُوْلُ: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝٣٦﴾(١).

وَلَا أَدْرِيْ بِأَيِّ وَجْهٍ سَتَلْقَى اللهَ -يَا ابْنَ العَمِّ- وَأَنْتَ تَرَى هَذِهِ المصَائِبَ وَالبَوَاقِعَ المبِيْرَةَ المفْنِيَةَ تَحْصُلُ فِيْ سُلْطَانِكَ فَلَا تُغَيِّرُهَا؛ بَلْ تُقِرُّهَا وَتُؤَيِّدُهَا، وَكَأَنَّهُ قَدْ نَزَلَ فِيْكُمْ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٠٨ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، وَلَقَدْ قَالَ الفَقِيْهُ الصَّدُوْقُ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُوْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ إِمَامٌ جَائِرٌ يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ" [رواه سفيان الثوري في جزء حديثه بإسناد صحيح ص: ٧٠ وروي مرفوعا والموقوف أصح].

وَكُلَّمَا كَتَبَ لَكَ نَاصِحٌ فِي بَيَانِ حَالِ هَذِهِ اللَّجْنَةِ وَانْحِرَافِهَا وَمَخَازِيْهَا حَوَّلْتَ كِتَابَهُ إِلَيْهِمْ لِيُنْزِلُوْا بِهِ الوَيْلَ وَالثُّبُوْرَ وَعَظَائِمَ الأُمُوْرِ، كَحَالِ عُرْوَةَ بْنِ المغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حِيْنَ كَتَبَ لِعَبْدِالملِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي أَمْرِ الحَجَّاجِ وَجَوْرِهِ وَظُلْمِهِ؛ فَبَعَثَ كِتَابَهُ إِلَى الحَجَّاجِ؛ فَقَتَلَهُ..!!

وَلَقَدْ وَصَلَ التَّمَادِي فِي الخَلَلِ، وَالتَّهَاوِي فِي دَرَكَاتِ الزَّلَلِ؛ أَنِ اخْتَلَّ مَفْهُوْمُ تَوْحِيْدِ الحَاكِمِيَّةِ وَالاتْبَاعِ عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنَ الجُنْدِ، حَتَّى لَقَدِ ابْتُلِيْنَا بِمَنْ يَقُوْلُ: "لَوْ أَمَرَنِي الأَمِيْرُ بِالسُّجُوْدِ لِفُلَانٍ لَسَجَدْتُ لَهُ، وَلَوْ أَمَرَنِي الأَمِيْرُ بِقَتْلِ فُلَانٍ لَقَتَلْتُهُ وَلَوْ كَانَ بَرِيْئًا، وَلَوْ وَلَوْ وَلَوْ"..!!

فَبَلَغَ بَعْضُهُمْ بِجَهْلِهِ حَمْأَةَ الطَّاعَةِ الشِّرْكِيَّةِ وَاتَّخَذُوا أُمَرَاءَهَمْ أَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللهِ..!! وَلَمْ يَعُدْ يُفَرِّقُ النَّاسُ بَيْنَ وُجُوْبِ اتْبَاعِ الكِتَابِ وَالسُّنْةِ وَالتَّجَرُّدِ فِي ذَلِكَ لَهُمَا؛ وَبَيْنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي المعْرُوْفِ، وَاخْتَلَّتْ عِنْدَ النَّاسِ صَلَاحِيَّةُ الحَاكِمِ وَالأَمِيْرِ وَأَنَّهُ لَا طَاعَةَ لَهُ فِي تَحْلِيْلِ حَرَامٍ وَلَا تَحْرِيْمِ حَلَالٍ، وَصِرْنَا نَسْمَعُ مَنْ يَنْشُزُ فِي صُفُوْفِ الجُنْدِ بِأَنَّ المسْأَلَةَ الفُلَانِيَّةَ عَقِيْدَةُ "الإِمَامِ"

---

(١) الأصل عدم تعيير التائب من الذنب، وإن كان الحديث المروي في ذلك عند الترمذي ضعيفا لا يصح، لكنه قد صح أن جماعة من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عيروا عددا ممن أسلم بعد الكفر أو الردة لما ظهر منه ما لا يليق بحاله وقدره، تجد هذا في صحيح البخاري [٤١٠٨] عن ابن عمر، وفي صحيح مسلم [١٧٠ - (٢٥٠٤)] عن سلمان وصهيب وبلال.

وَيَجِبُ عَلَى الكُلِّ اعْتِقَادُهَا..!! وَلَا يَحِلُّ مُخَالَفَتُهَا..!! فَمُنْذُ مَتَى وَنَحْنُ "إِمَامِيَّةٌ"..؟!! نَعْتَقِدُ مَا يَعْتَقِدُ "الإِمَامُ" وَنَعْبُدُ اللهَ بِمَا يَتَعَبَّدُ بِهِ "الإِمَامُ" وَنَتَعَرَّفَ عَلَى دِيْنِنَا عَنْ طَرِيْقِ "الإِمَامِ"..؟!!

لَقَدْ وَجَدْنَا رَبَّنَا المَلِكَ العَزِيْزَ يَقُوْلُ: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ فَلَئِنْ كَانَ الإِكْرَاهُ مَمْنُوْعًا فِي أَصْلِ المِلةِ وَالدِّيْنِ، فَكَيْفَ بِآرَاءِ وَأَهْوَاءِ الرِّجَالِ الَّتِيْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ وَلَا قَالَ بِهَا النَّبِيُّ العَدْنَانُ ﷺ وَلَا أَصْحَابُهُ وَلَا أَتْبَاعُهُمْ وَلَا أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ ذَوِيْ العِرْفَانِ..!!

فَاعْلَمْ أَيُّهَا "الإِمَامُ" أَنَّ لَكَ حَدًّا حَدَّهُ لَكَ رَبُّكَ فَلَا تَتَعَدَّاهُ، فَإِنَّنَا مَعْشَرَ أَهْلِ الإِسْلَامِ مَأْمُوْرُوْنَ بِالتَبَعِيَّةِ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَحَسْبُ لَا لِشَيْءٍ سِوَاهُمَا، وَلَيْسَ عِنْدَنَا سُلْطَةٌ تَشْرِيْعِيَّةٌ سِوَاهُمَا، وَلَئِنْ كَانَ قَدْ نَزَلَ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَىۡءٌ ﴾ فَأَنْتَ أَحْرَى وَأَوْلَى أَلَّا يَكُوْنَ لَكَ مِنْ هَذَا الأَمْرِ شَيْءٌ، وَمَا لَكَ فِي هَذَا الأَمْرِ إِلَّا تَنْفِيْذُ شَرِيْعَةِ الوَحْيَيْنِ ثُمَّ لَكَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ مَتى مَا اسْتَقَمْتَ عَلَيْهِمَا وَلَزِمْتَهُمَا وَحَمَلْتَ جُنْدَكَ وَرَعِيَّتَكَ عَلَيْهِمَا، وَمَتَى مَا تَرَكْتَهُمَا فَلَا سَمْعَ لَكَ عَلَيْنَا وَلَا طَاعَةَ.

وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الأُمَّةِ عَلَى أَنَّ مَنْ غَيَّرَ مُعْتَقَدَهُ -فِي أَيِّ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الدِّيْنِ- الَّذِيْ بَنَاهُ عَلَى وَحْيِّ اللهِ وَبُرْهَانِهِ لِأَجْلِ مُعْتَقَدِ أَمِيْرِهِ فَقَدْ كَفَرَ وَارْتَدَّ بِذَلِكَ عَنْ دِيْنِ اللهِ تَعَالَى، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ لِهَذَا فَكَأَنَّمَا دَعَاهُمْ لِلرِّدَّةِ وَالكُفْرِ باللهِ(١)، فَاحْذَرْ أَشَدَّ الحَذَرِ، وَمَتَى مَا خَطَوْتَ نَحْوَ هَذَا الأَمْرِ فَقَدْ خَطَوْتَ نَحْوَ حَتْفِكَ وَهَلَاكِ نَفْسِكَ وَمَحْقِهَا بِعَذَابٍ مِنَ اللهِ عَظِيْمٍ.

وَمَا جَرَّنَا لِهَذِهِ المَصَائِبِ إِلَّا لِكَوْنِ أَعْضَاءِ اللَّجْنَةِ المَشْؤُوْمَةِ وَأُمَرَاءِ الدَّوَاوِيْنِ وَالهَيْئَاتِ وَالوَلَاةِ لَيْسَ فِيْهِمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ -سِوَى أَبِي هَمَّامٍ تَقَبَّلَهُ اللهُ- عُرِفَ بِطَلَبِ العِلْمِ أَوْ اشْتُهِرَ بِتَحْصِيْلِهِ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوْسًا جُهَّالًا فَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا وَهَلَكُوا وَأَهْلَكُوا، فَمَا ظَنُّكَ بِجَاهِلٍ إِنْ تَسَلَّطَ، وَأُحَيْمِقٍ تَأَمَّرَ فَهَذَرَ وَخَلَّطَ، وَرُوَيْبِضٍ تَسَلَّقَ، بَعْدَ إِذْ دَاهَنَ وَتَمَلَّقَ، وَلَقَدْ سَأَلَ السُّلْطَانُ العَبَّاسِيُّ

---

(١) نقل الاتفاق شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في الفتاوى [٣٥/ ٣٧٤]، وقد جمع الشيخ أبو يعقوب المقدسي -جزاه الله خيرا- كلام شيخ الإسلام في ذلك ورتبه وهذبه وأرسله عن طريق الشيخ أوس النجدي في كتاب نصيحة إلى اللجنة المفوضة، ولكن.. لقد أسمعت لو ناديت حيًّا..

أَبُوْ جَعْفَر الإِمَامَ ابْنَ أَبِي ذِئْبٍ القُرَشِيَّ –إِمَامَ أَهْلِ المدِيْنَةِ– رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: "نَشَدْتُكَ بِاللَّهِ مَا تَعْلَمُ مِنِّيْ؟ أَلَسْتُ أَعْمَلُ بِالْحَــقِّ؟ أَلَيْسَ تَرَانِيْ أَعْدِلُ؟ " فَقَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ: "أَمَا إِذْ نَشَـدْتَنِي بِاللَّهِ فَأَقُوْلُ: اللَّهُمَّ لَا، مَا أَرَاكَ تَعْدِلُ، وَإِنَّكَ لَجَائِرٌ، وَإِنَّكَ لَتَسْـتَعْمِلُ الظَّلَمَةَ وَتَدَعُ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ".

وَلَئِنِ اسْـتُشْـهِدْنَا فَواللهِ لَنَقُوْلَنَّ مَا قَالَ ابْنُ أَبِيْ ذِئْبٍ: "اللَّهُمَّ إِنَّا مَا نَرَاهُ يَعْدِلُ، وَإِنَّهُ لَجَائِرٌ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَعْمِلُ الظَّلَمَةَ وَيَدَعُ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ".

وَكَانَ مِنْ نَتِيْجَةِ مَا سَبَقَ أَنْ تَسَاهَلَتِ الوُلَاةُ وَالأُمَرَاءُ فِيْ الدِّمَاءِ، وَمِنْ أَعْظَمِ صُوَرِ هَذَا التَسَاهُلِ التَّفْرِيْطُ فِي الجُنُوْدِ وَالتَغْرِيْرُ بِهِمْ وَعَـدَمُ إِحْكَامِ الغَزَوَاتِ وَالمعَارِكِ، وَعَـدَمُ الخَوْفِ مِنَ اللهِ فِيْ ذَلِكَ فَيُوْرِدُوْنَهُمُ المهَالِكَ، فَإِنْ كَانَ مِنْ نَصْــرٍ نَسَبُوْهُ لِأَنْفُسِهِمْ –إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ مِنْهُمْ–، وَإِنْ كَانَ مِنْ هَزِيْمَةٍ فَالمخْطِئُ هُمْ الجُنُوْدُ –وَفِي الغَالِبِ– لِأَنَّهُمْ "لَا يَسْـمَعُوْنَ وَلَا يُطِيْعُوْنَ" زَعَمُوْا فَكَذَبُوْا..!!

وَصَارَ فِقْهُ الانْسِحَابَاتِ عِنْدَ شَيْبَةِ السُّوْءِ عَبْدِ النَّاصِرِ –لَعَنَهُ اللهُ– هُوَ المعْتَمَدُ، فَلَمْ يَدَعْ لَنَا قَرْيَةً وَلَا مَدِيْنَةً وَلَا وِلَايَةً إِلَّا وَأَمَرَ بِانْسَحَابِ الجُنْدِ مِنْهَا –كُلِّــيًّا أَوْ جُزْئِيًّا–، وَمَا مَهْزَلَةُ سَدِّ الطَّبْقَةِ وَالخُرُوْجِ مِنَ الرَّقَّةِ بِخَافِيَةٍ عَنْ بَصِيْرٍ؛ فَفَرَّ وَأَمَرَ النَاسَ بِالفِرَارِ وَقَدَّمَ بِذَلِكَ خِدْمَةً لِلصَّـلِيْبِيِّيْنَ لَمْ يَكُوْنُوْا يَحْلُمُوْنَ بِهَا البَتَّةَ، فَخَرَجَ لَا يَلْوِيْ عَلَى شَيْءٍ ثُمَّ هُوَ يَأْمُرُ أُسُوْدَ الإِسْلَامِ فِيْ الرَّقَّة وَيَنْهَاهُمْ؛ وَلِسَــانُ حَالِهِمْ وَمَقَالِهِمْ: "إِنْ كُنْتَ إِمَامِيْ فَكُنْ أَمَامِيْ"، وَمِنْ قَبْلُ أَمَرَ بِالانْسِــحَابِ مِنْ حَلَبَ وَبِئْرِ القَصَــبِ وَالبَتْرَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا أَدْرِي إِلَى مَتَى يَفِرُّ وَيُخَذِّلُ وَهَلْ كَانَ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ مِنْ أَهْلِ الحُرُوْبِ وَالمعَارِكِ أَوْ تَدْبِيْرِ الأُمَمِ وَالممَالِكِ، حَتَّى يَتَوَلَّى مِثْلَ هَذِهِ القَرَارَاتِ العِظَامِ وَيُضَيِّعَ الدَّوْلَةَ بِسَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَقِلَّةِ عَقْلِهِ وَتَقَلُّبِ هَوَاهُ[١]..؟!!

(١) وأظهر دليل –والأدلة كثيرة– على قلة عقله وسـفاهته أن الشـيخ أبا همام حين ناصـحه كيف يخرج التعميم الأعمى "ليهلك من هلك" –وقد مهر التعميم بختمه وتوقيعه وهما معروفان لكل أحد–، فأجابه بأنه لا علاقة له به وأنه لم يكتبه

فَضْلًا عَنْ سَعْيِهِ الحَثِيْثِ لِكَسْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الضَّارِبِ وَذِرَاعِهَا القَوِيِّ الـمُغَالِبِ "لِوَاءِ الصِّدِّيقِ" بَعْدَ أَنْ كَانَ قُوَّةً لَا تَكَادُ تُغْلَبُ فِيْ المعَارِكِ وَالحُرُوْبِ، وَكُلُّ هَذَا بِشَهَادَةِ الشُّهُوْدِ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ لأَنَّ اللِّوَاءَ قَدْ بُوْرِكَ لِلْعَدْنَانِيِّ -تَقَبَّلَهُ اللهُ- بِتَأْسِيْسِهِ وَإِعْدَادِهِ فَأَرَادَ نَقْضَ بُنْيَانِهِ، فَضْلًا عَنْ شَتْمِهِ لِخِيْرَةِ المجَاهِدِيْنَ وَاتِّهَامِهِ لِكُلِّ مَنْ هَبَّ وَدَبَّ بِالعَمَالَةِ وَتَهْدِيْدِهِ كُلَّ مَنْ خَالَفَهُ بِالقَتْلِ..بِعِبَارَتِهِ المشْهُوْرَةِ: "والله أكتله"...!!

وَلَقَدْ أَحَاطَ بِهِ جَمْعٌ مِنْ خِيْرَةِ العَسْكَرِيِّيْنَ وَبَذَلُوْا لَهُ النُّصْحَ عَشَرَاتِ المرَّاتِ فِيْ كَثِيْرٍ مِنَ القَضَايَا وَلَكِنْ كَمَا قِيْلَ: "أُذُنٌ مِنْ طِيْنٍ وَأُذُنٌ مِنْ عَجِيْنٍ"، وَخَيْرٌ مِنْهُ فِيْ وَصْفِ حَالِهِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى:﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾.

ثُمَّ أَلَمْ تَعْلَمْ بِمَا يَحْصُلُ فِيْ أَرْوِقَةِ السُّجُوْنِ وَدَهَالِيْزِ الظَّلَامِ مِنَ الجَلْدِ وَالضَّرْبِ وَالتَّعْلِيْقِ وَالتَشْبِيْحِ وَالإِهَانَةِ وَالسَّبِّ وَالشَّتْمِ وَالتَّحَرُّشِ وَالقَتْلِ.. نَعَمْ؛ التَّحَرُّشِ.. وَمَا قِصَّةُ الأُخْتَيْنِ أُمِّ يُوْسُفَ الأَمْرِيْكِيَّةِ وَرِبِيْتَّا الفَرَنْسِيَّةِ عَنْ آذَانِنَا بِبَعِيْدَةٍ، يَتَنَاقَلُ النَّاسُ أَخْبَارَهُمَا وَمَا فَعَلَ بِهِمَا مُحَقِّقُوْ دِيْوَانِ الخَوْفِ وَالظُّلْمِ.. وَأَمَّا القَتْلُ فَبِغَيْرِ وَجْهِ الحَقِّ تَحْتَ ذَرِيْعَةٍ وكِذْبَةٍ كَبِيْرَةٍ صَلْعَاءَ.. "القَتْلُ تَعْزِيْرًا" فَأُخِذَتْ مِنْ غَيْرِ حَقِّهَا وَوُضِعَتْ فِي غَيْرِ مُسْتَحِقِّهَا، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُسَمَى "القَتْلَ تَشَهِيًّا وَغُرُوْرًا وَإِرْهَابًا وَرُعْبًا وَظُلْمًا وَجوْرًا"، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ.

لَقَدْ كَانَ أَبُوْ بَكْرٍ وَعَمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَعلَمَ باللهِ مِنْكُمْ وَأَوْرَعَ وَأَخْشَى وَأَحْرَصَ عَلَى دِيْنِ اللهِ، وَمَا رَأَيْنَاهُمْ قَتَلُوا مُسْلِمًا يَشْهَدُ "أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُوْلُ اللهِ" بِغَيْرِ مُوْجِبٍ شَرْعِيٍّ قَطْعِيٍّ قَطْ، فِإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلِيْهِ رَاجِعُوْنَ.

وأنه ختم عليه فقط..!! فهل سمعت عن عاقل في الدنيا يختم ويوقع على ما لا يعرف، فكيف إن كان فيه إضلال العباد والقول على الله والكذب عليه بغير علم، وصدق الشاعر:

وَإِنَّ سِفَاهَ الشَّيْخِ لَا حِلْمَ بَعْدَهُ ... وَإِنَّ الفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلُمِ

وخير منه قول الله تعالى:﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾.

وَلَقَدْ كَانَ فِيْ مَا رَوَى أَبُوْ العَرَبِ التَّمِيْمِيُّ فِي كِتَابِهِ المِحَنُ [صـ:٢٢٦] عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ، فَلَقَدِ اسْتَدْعَى طَاغِيَةُ بَنِيْ أُمَيَّةَ الحَجَّاجُ بنُ يُوْسُفَ -لَعَنَهُ اللهُ- عَبَدَ اللهِ بنَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَابْنَهُ سَالمًا "فَأَتَى ابْنُ عُمَرَ وَمَعَهُ ابْنُهُ سَالِمٌ فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: اجْلِسْ يَا شَيْخُ، فَجَلَسَ، ثُمَّ قَالَ الْحَجَّاجُ: ائْتُونِي بِرَجُلٍ مِنَ السِّجْنِ، فَأَتَوْهُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَاتُوا السَّيْفَ فَأَتَوْهُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ خُذْ هَذَا السَّيْفَ فَاضْرِبْ عُنُقَ هَذَا...فَأَخَذَ سَالِمٌ السَّيْفَ فَهَزَّهُ ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى الرَّجُلِ الأَسِيرِ فَقَالَ لَهُ: مُدَّ عُنُقَكَ، فَمَدَّ الرَّجُلُ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: يَا رَجُلُ أَزَنَيْتَ بَعْدَ إِحْصَانٍ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا مَا فَعَلْتُ، قَالَ لَهُ: فَرَجَعْتَ عَنِ الإِسْلامِ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا مَا فَعَلْتُ، قَالَ لَهُ سَالِمٌ: أَقَتَلْتَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا مَا فَعَلْتُ، قَالَ سَالِمٌ: يَا حَجَّاجُ سَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«لَا يَحِلُّ لامْرِئٍ مُؤْمِنٍ يُقْتَلُ إِلا عَنْ ثَلاثِ خِصَالٍ يَزْنِي بَعْدَ إِحْصَانٍ أَوْ يَرْتَدُّ عَنِ الإِسْلامِ أَوْ يَقْتُلُ نَفْسًا مُؤْمِنَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ» فَلَيْسَ فِي هَذَا الرجل شَيْئًا مِنْ هَذَا فَلِمَ تَقْتُلُهُ؟ قَالَ الْحَجَّاجُ: اضْرِبْ عُنُقَهُ كَمَا أَقُولُ لَكَ، فَقَالَ سَالِمٌ لِلرَّجُلِ: مُدَّ عُنُقَكَ، فَمَدَّ الرَّجُلُ عُنُقَهُ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: يَا أَخِي أَصَلَّيْتَ الْغَدَاةَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ؟ قَالَ الرَّجُلُ: نَعَمْ قَدْ صَلَّيْتُ، قَالَ سَالِمٌ: يَا حَجَّاجُ سَمِعْتُ أَبِي وَهُوَ يَسْمَعُ مَا أَقُولُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ كَانَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ حَتَّى تَتَوَارَى بِالْحِجَابِ» يَا حَجَّاجُ كَيْفَ تَقْتُلُ رَجُلا وَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ؟ قَالَ الْحَجَّاجُ: يَا سَالِمُ ضَعِ السَّيْفَ مِنْ يَدِكَ، فَدَعَا رَجُلا شَقِيًّا مِنْ أَشْقِيَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَقَالَ: لَهُ اضْرِبْ عُنُقَ هَذَا فَضَرَبَ عُنُقَهُ فَقَتَلَهُ. فَقَالَ الْحَجَّاجُ لِسَالِمٍ: اسْحَبْهُ حَتَّى تُخْرِجَهُ، فَأَخَذَ سَالِمٌ بِرِجْلِ الْقَتِيلِ يَجُرُّهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَخِي سَحْبُكَ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ قَتْلِكَ وَأَنَا شَاهِدٌ لَكَ غَدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّكَ مَظْلُومٌ".ا.هـ.

وَبَعْدَمَا تَوَلَّى الظَّلَمَةُ وَالجَهَلَةُ وَالمبْتَدِعَةُ غَابَتِ الرَّقَابَةُ عَلَيْهِمْ، فَصَارُوا يَسْرَحُوْنَ وَيَمْرَحُوْنَ وَيَظْلِمُوْنَ وَيَجُوْرُوْنَ، وَلَا رَقِيْبٌ ثَمَّ وَلَا حَسِيْبٌ، تَرَى أَحَدَهُمْ يَبْطِشُ وَيَظْلِمُ وَيُبَدِّعُ وَيُكَفِّرُ كَأَنَّهُ

مُسْـــتَيْقِنٌ أَنَّهُ لَنْ يَقِفَ بَيْنَ يَدَي رَبِّهِ وَلَنْ يُبْعَثَ مِنْ قَبْرِهِ، أَوْ أَنَّهُ سَــبَقَتْ لَهُ الشَّــفَاعَةُ وَالوَعْدُ بِالنَّجَاةِ.!

وَمِنْ أَظْهَرِ الأَدِلَّةِ عَلَى مَا سَبَقَ فَسَادُ جِهَازِ القَضَاءِ فِي الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَّـــةِ، بَلْ عِنْدَ التَّحْقِيْقِ انْعِدَامُهُ أَوْ شِبْهُ انْعِدَامٍ، فَلَا يُسْمَحُ لِلْقَاضِيْ أَنْ يَقْضِـــيَ عَلَى الوَالِيْ فَهَذَا مِنْ صَلَاحِيَّاتِ دِيْوَانِ القَضَـاءِ وَالمظَالِمِ[١].. فَأَمَّا القَضَـاءُ عَلَى أَعْضَـاءِ اللَّجْنَةِ بَلْهَ أَمِيْرِ الدَّوْلَةِ فَلَا أَدْرِي إِلَى يَوْمِ النَّاسِ هَذَا؛ هُوَ مِنْ صَلَاحِيَّة مَنْ[٢]؟!!

فَصَــارَ الحَقُّ فِيْنَا يُؤْخَذُ مِنَ الضَّـعِيْفِ وَالفَقِيْرِ وَلَا يُتَعرَضُ فِيْهِ لِلْقَوِيِّ وَالأَمِيْرِ، فَاسْـتَحْقَقْنَا مَا اسْتَحَقَّتْ بَنُوْ إِسْرَائِيْلَ مِنْ قَبْلِنَا وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ.

وَهَذَا نَتِيْجَةٌ طَبِيْعِيَّةٌ لِعَدَمِ احْتِرَامِ القَضَاءِ بَيْنَ الأُمَرَاءِ وَالجُنْدِ وَكَذَا عَدَمِ احْتِرَامِ القُضَاةِ أَوْ إِنْزَالِهِمْ مَنْزِلَتَهِمْ وَتَسَلُّطِ الوُلَاةِ وَاللَّجْنَةِ المشْؤُوْمَةِ عَلَيْهِمْ وَإِهَانَتِهِمْ وَاللَّعِبِ بِهِمْ يَمْنَةً وَيَسْـرَةً دُوْنَ أَدْنَى تَوْقِيْرٍ أَوِ احْتِرَامٍ[٣]، فَلَا يُؤْبَهُ بِاسْـتِدْعَاءِ القَضَـــاءِ وَلَا أَحكَامِهِ وَلَا يُرْفَعُ بِهَا رَأْسٌ وَلَا يَهْتَزُ لَهَا رِمْشٌ، بَيْنَمَا لَوْ كَانَ الاسْتِدْعَاءُ أَوْ الحُكْمُ مِنْ جَلَاوِزَةِ الأَمْنِيِّيْنَ لَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُ الـمُسْتَدْعَى أَوْ المحْكُوْمِ عَلَيْهِ لِتَلْبِيَةِ الأَوَامِرِ؛ فَعِشْ رَجَبًا تَرَى عَجَبًا..!!

(١) ولقد عُيِّن مؤخرا قاضيا لديوان القضاء والمظالم رجل أزرقي خارجي كذاب أشر، ألا وهو أبو حذيفة التونسـي - حذفه الله في الدرك الأسفل من النار-، وهو الذي قال في مجلس علني شهده بضعة عشر مجاهد: "أنا لا أرضى أن أدخل أولادي مدارس الدولة الإسلامية لأنها لا تعلم الكفر بالطاغوت، ومناهج التعليم الشرعي في مدارس آل سلول أفضل من مناهج الدولة الإسلامية" وأشيع الخبر بأن أبا محمد الفرقان سبق واستتابه..!! فمن يصلح الملح إذا الملح فسد..؟!

(٢) فلئن قلتَ:" هو من صلاحية أمير ديوان القضاء"، فاعلم أن أمير ديوان القضاء لا يقضي على سرواله.. وعذرا عن هذا التعبير..!! فقد أعطى أمير ديوان القضـاء كتاب أمان وعدم تعرض ممهورا بختمه الأحمر للأخ أبي البراء الأزدي، وحين داهمه الأمنيون أظهر لهم الكتاب فلم يؤبه به فاعتقلوه ورموا به في السجن نحو شهرين..!!
وقد عزل عبد الناصر خمسة من القضاة وأحالهم على المكتب الشـرعي في ديوان الجند في يوم واحد دون أن يعلم أمير الديوان بشيء من ذلك..!! فأي اعتبار أو قيمة لهذا الديوان أو لأميره..؟!

(٣) حتى أسرَّ إلي أحد القضـاة السـابقين من خيرة طلبة العلم المهاجرين -ممن ابتلي بالقضـاء وسـارع لطلب العزل والإعفاء- بكلمة، فقال: "والله يا أبا محمد، لقد تيقنت أن قيمة القاضي في هذه الدولة أقل من قيمة الحذاء..!!" فنهرته ونهيته، فما زاد إلا حلفا وتأكيدا..!! فحسبنا الله ونعم الوكيل.

أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ مُصِيْبَةَ جَهْلِ كَثِيْرٍ مِنَ القُضَاةِ بِالشَّـرْعِ بَلْ جَهْلِ مَنْ يَخْتَارُهُمْ وَيُعَيِّنُهُمْ -هَذَا بَعْدَ اسْـتِبْعَادِ أَكْثَرِ القُضَـاةِ المهَاجِرِيْنَ القُدَامَى مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ الرَّاسِـخِيْنَ لِعَدَمِ مُجَارَاتِهِمْ الأَهْوَاءَ وَمُدَاهَنَتِهِمْ بِالبَاطِلِ- حَتَّى قَالَ لِي قَائِلُهُمْ الَّذِيْ عَيَّنْتَهُ لِاخْتِيَارِهِمْ وَقَدْ أَنْكَرْتُ عَلَيْهِ اخْتِيَارَ الجَهَلَةِ وَالصِّغَارِ مَرَّةً: "لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُوْنَ القَاضِيْ عَالِمًا إِنَّمَا القَضَاءُ خِبْرَةٌ وَمُمَارَسَةٌ"(١) فَأَسْفَرَ عَنْ جَهْلِهِ وَقِلَّةِ عَقْلِهِ، حَتَّى أَدَّى الجَهْلُ بِبَعْضِـهِمْ بِالشَّـــــرْعِ أَنْ يَحْكُمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي بَعْضِ المسَـائِلِ(٢) أَوْ أَنْ يَطْلُبَ بَعْضُ الأُمَرَاءِ مِنْ بَعْضِ القُضَـاةِ تَغْيِيْرَ أَحْكَامِهِمْ تَبَعًا لِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ مُوْجِبٍ شَرْعِيٍّ، وَهَذِهِ واللهِ هِيَ الحَالِقَةُ..!!

وَفَوْقَ هَذَا وَذَاكَ لَمْ تَتَبَنَّ الدَّوْلَةُ مَشْـــرُوْعًا عِلْمِيًا عَمَلِيًا جَادًا لِإِعْدَادِ القُضَـاةِ وَتَأْهِيْلِهِمْ، فَبَيْنَمَا تَسْتَمِرُّ الدِّرَاسَـةُ فِيْ مَعَاهِدِ القَضَـاءِ فِيْ بَعْضِ البِلَادِ سَبْعَ سَنَوَاتٍ مِنْ طَلَبِ العُلُوْمِ الشَّـرْعِيَّةِ اكْتُفِيَ فِيْ دَارِ "الخِلَافَةِ" بِثَمَانِيَةِ أَشْـهُرٍ لِتَعْيِيْنِ خِرِّيجِي مَعْهَدِ الرَّقَةِ -عَلَى كَثْرَةِ مَا حُوْرِبَ المعْهَدُ وَمُؤَسِّـسُهُ الشَّـيْخُ القَحْطَانِيُّ- مِنَ الشَّـبَابِ صَـغِيْرِ السِّـنِّ قَلِيْلِ الخِبْرَةِ لِيُوَلَّوا القَضَـاءَ فِي دِمَاءِ المسْلِمِيْنَ وَفُرُوْجِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَقَدْ مَرَّ عَلَى إِعْلَانِ "الخِلَافَةِ" ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ لَوْ افْتُتِحَ مِنْ حِيْنِهَا جَامِعَةٌ أُسِّسَتْ عَلَى بُنْيَانٍ عِلْمِيٍّ قَوِّيٍ رَاسِخٍ لِإِعْدَادِ القُضَاةِ لَكَانَ الحَالُ اليَوْمَ غَيْرَ الحَالِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذِهِ البَلِيَّةِ بَلِيَّةٌ..؟!

وَلَنْ أُطِيْلَ الحَدِيْثَ عَنْ فَشَـلِ الحِسْـبَةِ وَضَـيَاعِهَا وَتَمْيِيْعِهَا وَالحَرْبِ الشَّـعْوَاءِ عَلَيْهَا عَلَى كَافَةِ الأَصْـعِدَةِ وَمِنْ كُلِّ الجِهَاتِ، فَهَا نَحْنُ نَرَى المحْتَسِـبِيْنَ يُجْلَدُوْنَ وَيُهَانُوْنَ أَمَامَ أَبْوَابِ بُيُوْتِ العُصَـاةِ الفَجَرَةِ بَلِ الكَفَرَةِ مِنْ سَـابِّيْ الذَّاتِ الإِلَهِيَّةِ -تَعَالَى اللهُ وَتَقَدَّسَ اسْـمُهُ- وَبَائِعِيْ

---

(١) قالها لي أبو إسحاق العراقي في مجلس حضره عدة رجال -سحقه الله في تنور من لهب- وقد أتى بالطوام والمصائب حين كان قاضيا على كركوك من قبل، ولا عجب فلعله يحسب القضاء كالسباكة أو النجارة مما يكتسب بالخبرة والممارسة.

(٢) والشواهد على ذلك كثيرة تجدها في أدراج ديوان القضاء.

الدُّخَانِ(١)، وَيُسْجَنُوْنَ وَيُطْرَدُوْنَ وَيُنْفَوْنَ إِلَى أَبْعَدِ الوِلَايَاتِ وَأَسْخَنِ الجَبَهَاتِ دُوْنَ أَنْ يَتَنَزَّلَ أَوْ يَتَوَاضَعَ الآمِرُ بِتَعْزِيْرِهِمْ لِلسَّمَاعِ مِنْهُمْ، وَيُتَوَعَّدُ مَنْ لَمْ يَلْتَزِمِ التَّعْزِيْرَ بِالقَتْلِ تَعْزِيْرًا..!!

وَمَا خَبَرُ قِصَةِ نَفْيِّ حِسْبَةِ الرَّقَّةِ إِلَى العِرَاقِ قَدِيْمًا(٢) وَنفيِّ حِسْبَةِ المَيَادِيْنِ إِلَى الرَّقَةِ حَدِيْثًا عَنْكَ بِبَعِيْدٍ، بَلْ أُشِيْعَ أَنَّكَ أَنْتَ مَنْ أَمَرَ بِذَلِكَ، وَثَبَتَ عِنْدِيْ بِنَقْلِ العَدْلِ الثِّقَةِ أَنَّكَ قُلْتَ: "إِنَّ حِسْبَةَ الرَّقَّةَ قَدْ ظُلِمُوا"..!! فَهَلِ انْتَصَفْتَ لَهُمْ أَوْ رَدَدْتَ عَلَيْهِمْ حُقُوْقَهُمْ..؟!! لَكِنَّ اللهَ الموْعِدُ.

وَقَدْ كُتِبَتْ إِلَيْكَ فِي شَأْنِ الحِسْبَةِ لِإِصْلَاحِهَا الكَثِيْرُ مِنَ الكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ فَلَمْ يَتَغَيَّرْ شَيْءٌ بَلْ تَرَدَّى الحَالُ وَاسْتَفْحَلَ الوَبَالُ، حَتَّى وَلَّيْتَ عَلَيْهَا الآنَ مَنْ كَانَ قَاضِيًا عَلَى أَسْرَى جُنُوْدِ الدَّوْلَةِ الإِسْلَامِيَةِ عِنْدَ مُرْتَدِّيْ أَحْرَارِ الشَّامِ قُبَيْلَ سَنَوَاتٍ مَعْدُوْدَاتٍ، فَحَسْبُنَا اللهُ الملِكُ المتَعَالِ.

ثُمَّ خُتِمَتِ المصَائِبُ وَالنَّكَبَاتُ، بِقَاصِمَةِ الظُّهُوْرِ وَمَاحِقَةِ الدُّوَيْلاتِ، وَمُفْنِيَةِ الأُمَمِ وَمُهْلِكَةِ الجَمَاعَاتِ؛ فِتْنَةٌ "دُؤَادِيَّةٌ" جَدِيْدَةٌ، وَمِحْنَةٌ مُعْتَزِلِيَّةٌ غَالِيَةٌ، فِي مُرُوْطِ سَلَفِيَّةٍ بَالِيَةٍ، وَدَاهِيَةٌ دَهْمَاءُ خَؤُوْنِيَّةٌ لَا "مَأْمُوْنِيَّةٌ"، أَلَا وَهِيَ بِدْعَةُ "لَجْنَةِ الرَّقَابَةِ المنْهَجِيَّةِ" الَّتِي تَمْتَحِنُ النَّاسَ فِي عَقَائِدِهِمْ، وَتَخْتَرِعُ بِدَعًا تَجْعَلُهَا مِنْ أُصُوْلِ الدِّيْنِ وَتُحَاسِبُ النَّاسَ عَلَى مُخَالَفَتِهَا، فَتُكَفِّرُ زَيْدًا وَتُبَدِّعُ عَمْرًا وَتَمْتَحِنُ هَذَا وَتَخْتَبِرُ ذَاكَ، وَلَقَدْ تَتَابَعَ أَئِمَةُ السُّنَّةَ عَلَى تَقْرِيْرِ بِدْعِيَّةِ الامْتِحَانِ؛ فَقَالَ الإِمَامُ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المِحْنَةُ بِدْعَةٌ». وَالأَنْكَى وَالأَدْهَى أَنْ وُلِّيَ عَلَيْهَا بَانِي سُجُوْنِ الرَّافِضَةِ أَبُوْ زَيْدٍ العِرَاقِيُّ –زَادَهُ اللهُ مِنَ العَذَابِ عَذَابًا–(٣)، وَجُمِعَ حَوْلَهُ ثَعَالِبُ خَائِبَةٌ وَضِبَاعٌ خَائِنَةٌ، أَقْوَامٌ

---

(١) جُلِدَ الأخ أبو عزام القرشي الأنصاري أمام بيت من اتهم بسب الذات الإلهية، وجلد الأخ أبو حكيم الدوسري أمام بيت تاجر الدخان، وصدر الأمر بتعزيره بالسجن من عبد الناصر وفي آخره قوله: "إن تهرب من الجلد فدمه مهدور"..!!! نعوذ بالله من العته والسفه والغرور.

(٢) ونفي معهم حينها نائب أمير ديوان البحوث والإفتاء الشيخ العالم الشهيد –كما نحسبه– أبو محمد الأزدي –تقبله الله في عليين– لأنه دافع عنهم وعارض قرار نفيهم. وحدثني الثقة أنه أرسلت قَبْلَهم تقارير الزور والبهتان، تُضرب لأجلها أعناقهم وتُعلق مشانقهم، لكنَّ الله لطف وسلم وأكرمهم الشيخ أبو المعتز–تقبله الله– وكان أميرا العراق حينها.

(٣) باني سجن الرصافة عند الرافضة في العراق أبو زيد العراقي وكان يعرف حينها بالدكتور إسماعيل، وقد ثبتت عليه شهادة ثلاثة من الشهود الأحياء الموجودين الآن بأنه أفتى بجواز معاونة الرافضة في بناء السجون وبناء أبراج الحراسة وغرف التحقيق والضباط، في غير إكراه ملجئ أو معتبر، وقد كفره الإخوة في السجن حينها ونقله الرافضة بعد أيام من

جُهَّالٌ لَمْ يُعْرَفُوا بِعِلْمٍ أَوْ يَتَزَيَّنُوا بِحِلْمٍ، وَلَا شَمُّوا رَائِحَةَ الأَثَرِ وَلَا فَقِهُوا مَسَالِكَ النَّظَرِ، وَلَمْ تَشْهَدْ لَهُمْ سَاحَاتُ القِتَالِ وَلَا مَعَامِعُ النِّزَالِ، يَفِرُّوْنَ مِنَ المعَارِكِ وَيَتَسَلَّلُوْنَ مِنَ الرِّبَاطِ، لَا يُدْرَى عَلَى مَنْ أَخَذُوا العِلْمَ وَلَا مِمَّنْ تَلَقَوْهُ، فَأَنَّى لَهُمْ أَنْ يُبْصِرُوا طَرِيْقَ الهِدَايَةِ بَعْدَ إِذْ أَضَلُّوْهُ، حَظُّ أَحْسَنِهِمْ –وَلَيْسَ فِيْهِمْ حَسَنٌ– مِنَ العِلْمِ كَحَسْوِ الطَائِرِ أَوْ قَبْسَةِ العَجْلَانِ، فَحَرَّفُوا عَقِيْدَةَ الجَمَاعَةِ وَبَدَّلُوْهَا، وَغَيَّرُوا الأُصُوْلَ وَأَفْسَدُوْهَا، وَلَقَدْ قَالَ التَّابِعِيُّ الجَلِيْلُ أَبُوْ حَازِمٍ سَلَمَةُ بنُ دِيْنَارَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لَا يزَال الدِّين مَتِيْنًا مَا لَمْ تَقَعْ هَذِهِ الْأَهْوَاءُ فِي السلاطين، فهم الَّذِي يَذُبُّونَ النَّاسَ، فَإِذَا وَقَعَتْ فِيهِمْ فَمَنِ الَّذِي يَذُبُّهُمْ..؟!".

وَلَقَدِ اسْتُبْدِلَ حَمْلُ النَّاسِ عَلَى كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَكُتُبِ السُّنَّةِ وَالآثَارِ بِحَمْلِهِمْ عَلَى بِدْعَةِ: "مَنْهَجِ الدَّوْلَةِ" فَمَنْهَجُ الدَّوْلَةِ مَا هُوَ إِلَّا آرَاءُ رِجَالٍ مُتَنَفِّذِيْنَ مِنْ رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَلَيْسَتِ الدَّوْلَةُ إِلَّا شَخْصِيَّةً اعْتِبَارِيَّةً ذِهْنِيَّةً، فَكُلَّمَا تَكَلَّمَ مُتَكَلِّمٌ بِكَلِمَةٍ قِيْلَ لَهُ هَذَا يُخَالِفُ مَنْهَجَ الدَّوْلَةِ..!!

فَمَنْ سَبَقَنَا مِنْ دُوَلِ الإِسْلَامِ وَخُلَفَاءِ الرَّشَادِ إِلَى اخْتِرَاعِ "مَنْهَجِ الدَّوْلَةِ"..؟! وَهَلْ مَنْهَجُنَا إِلَّا كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُوْلِهِ ﷺ وَمَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ..؟! وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الملِكِ القَهَّارِ[1]..

فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ بَعْدَ هَذَا أَيُّهَا "الخَلِيْفَةُ".. أَيْنَ "مِنْهَاجُ النُّبُوَّةِ" فِي مِيْزَانِ مَا سَبَق..؟! فَإِنْ تَكُنْ خِلَافَةً.. فَالَّذِيْ يُجْزَمُ بِهِ أَنَّهَا لَيْسَتْ خِلَافَةَ الرِّسَالَةِ المحَمَّدِيَّةِ، وَهِيَ أَبْعَدُ مَا تَكُوْنُ عَنْ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ السَّنِيَّةِ، فَكَفَانَا كَذِبًا عَلَى اللهِ وَخِدَاعًا لِلْبَشَرِ.

فتواه القبيحة هذه، ولم يُعرف إلى الساعة أنه تاب من فتواه أو استتيب من قبل القضاء الشرعي مع أنه مقر بها و«إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ».

فأي خيانة للشرع أعظم من توليته وأي عدوان على الدين أعظم من تسليمه الأمور الشرعية والرقابة المنهجية، وهو أولى الناس بأن يراقب منهجه..؟!! وأنا أعلم أنه قد بلغك كل ما سبق لكني أذكره لقطع الحجة، فماذا أنت صانع..؟!!

(١) ولقد حُدِّثْتُ أن الأخ أبا سامي الوائلي رآك في رؤيا أنك تقرأ كتابا بين يديك ترتل ما فيه كترتيل القرآن، فنظر فإذا مكتوب عليه "منهاج الدولة"..!! والرؤيا –إن صدق المخبر والرائي– أظهر من أن تؤول.

إِنِّي أُحَذِّرُكَ النَّارَ، وَأُخَوِّفُكَ بِالملِكِ الجَبَّارِ، وَ واللهِ لَنْ نُسَامِحَكَ وَلَنْ نُقِيْلَكَ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَيْكَ النَّاصِحُوْنَ وَجَالَسَكَ الصَّادِقُوْنَ، وَلَا زِلْتَ تُسْلِمُ زِمَامَ القِيَادِ لِقَلِيْلِي العِلْمِ وَرَقِيْقِي الدِّيَانَةِ، فَلَا وَرِثُوا مُرُوْءَةَ الجَاهِلِيَّةِ وَلَا الْتَزَمُوا وَرَعَ الإِسْلَامِ، وَحَسْبُنَا اللهُ الملِكُ العَلَّامُ.

وَلَئِنْ قَالَتِ امْرَأَةٌ: "اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عُمَرَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَيْ رَحِمَكِ اللَّهُ، وَمَا يُدْرِي عُمَرَ بِكُمْ؟ قَالَتْ: يَتَوَلَّى عُمَرُ أَمْرَنَا ثُمَّ يَغْفُلُ عَنَّا..!!" فَإِنَّ خِيَارَ هَذِهِ الجَمَاعَةِ مِنَ طَلَبَةِ العِلْمِ وَالصَّالِحِيْنَ فِيْهَا يَقُوْلُوْنَهَا لَيْلَ نَهَارَ: "اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَك"، وَكَثِيْرٌ مِنْهُمْ يَدْعُوْ عَلَيْكَ وَعَلَى وُلَاتِكَ، وَيَصُفُّ رِجْلَيْهِ فِيْ الثُّلُثِ الآخِرِ لَا دُعَاءَ لَهُ إِلَّا التَظَلُّمُ بَيْنَ يَدَيِّ القَرِيْبِ المجِيْبِ، وَمَنْ جَعَلَ الرَّبَّ الجَبَّارَ القَهَّارَ وَكِيْلَهُ فِي خُصُوْمَتِكَ فَمَا أَفْلَحْتَ واللهِ إِنْ خَاصَمْتَهُ، وَلَوْ قَهَرْتَهُ فِي الدُّنْيَا أَوْ قَتَلْتَهُ، وَأَنْتَ إِذَنْ –وَرَبِّ البَيْتِ– المَحْرُوْبُ المَخْصُوْمُ المَقْهُوْرُ، وَلَقَدْ صَارَ جُنُوْدُكَ يُبْغِضُونَكَ وَيَلْعَنُوْنَكَ وَيَدْعُوْنَ عَلَيْكَ بِمَا حَرَمْتَهُمْ حُقُوْقَهُمْ وَمَنَعْتَهُمْ مَا أَحَلَّهُ اللهُ لَهُم، وَ«شِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ».

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تُضَيِّعَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكَ حِيْنَما افْتَتَحَ بِكَ هَذَا البَابَ الموْصَدَ وَأَظْهَرَ بِكَ هَذَا البُنْيَانَ المنْدَرِسَ، ثُمَّ يَكُوْنُ –بَعْدَ هَذَا الفَضْلِ– بِكَ كَسْرُ البَابِ وَنَقْضُ البُنْيَانِ، فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ بُوْيِعَ بِالخِلَافَةِ بَعْدَ طُوْلِ غِيَابٍ وَضَيَاعٍ، وَلِكِنَّكَ صِرْتَ أَنْتَ المضَيِّعَ لَهَا وَالمفَرِّطَ فِيْهَا وَلَنْ يُجْدِيَ الندم "وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ"، فَهَلْ يَا تُرَى تُدْرِكُ الاسْتِدْرَاكَ..؟!

وُلِّيْتَ شَأْنَهُمُ وَكُنْتَ أَمِيْرَهُمْ   فَأَضَعْتَهُمْ وَالحَرْبُ ذَاتُ تَوَهُّجِ
وَنَهَكْتَ ضَرْبَاً بِالسِّيَاطِ جُلُوْدَهُمْ   ظُلْمَاً وَعُدْوَانا وَلَمْ تَتَحَرَّجِ
وَظَنَنْتَ أَنَّكَ لَنْ تُعَاقَبَ فِيْهُمُ   واللهُ يُصْبِحُ مِنْ أَمَامِ المدْلِجِ
لَا تُخْبِرِ الأَقْوَامَ شَأْنَكَ كُلَّهُ   وإِذَا سُئِلْتَ عَنِ المصَابِ فَلَجْلِجِ

ثُمَّ لَا تَزْعُمْ بِأَنَّكَ لَا تَعْلَمُ، فَبِئْسَ الأَمِيْرُ أَنْتَ إِنْ غَفَلْتَ عَنْ رَعِيَتِكَ وَهُوَ عُذْرٌ أَقْبَحُ مِنْ ذَنْبٍ، بَلْ لَعَلَّكَ أَنْتَ الَّذِي لَا تُرِيْدُ أَنْ تَعْلَمَ، حَتَى تَبْقَى صُوْرَةُ ذَاكَ الخَيَالِ الوَرْدِيِّ الَّذِيْ تَتَفَيَّأُ ظِلَالَهُ

وَتَرْفُلُ فِي نَعِيْمِهِ المتَوَهَم سَـالِمَةً مِنْ كُلِّ خَدْشٍ أَوْ تَكْدِيْرٍ، وَأَنَا أَحْلِفُ باللهِ -غَيْرَ حَانِثٍ- أَنَّكَ تَعْلَمُ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَكْثَرَ مَا سَـبَقَ إِنْ لَمْ يَكُنْ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرَ مِنْهُ، وَنَصَـحَكَ النَّاصِـحُوْنَ وَلَقِيَكَ المشْـفِقُوْنَ، فَتَرَفَّقُوا وَتَرَقَّقُوا، وَمَهَّدُوا وَتَمَهَّلُوا، وَاحْتَالُّوا بِأَهْوَنِ العِبَارَاتِ وَأَجْمَلِ اللَّفَظَاتِ، ثُمَّ مَاذَا كَانَ..؟! لَمْ يَتَغَيْرْ شَيْءٌ؛ بَلْ ازْدَادَ الأَمْرُ تَرَدِيًّا بَعْدَ التَّرَدِّي وَسُوْءًا بَعْدَ السُّوْءِ، بَلْ واللهِ وباللهِ وتاللهِ، ما عَلِمْتُ رَجُلًا كَتَبَ إِلَيْكَ فِيْ مُشْـكِلَةٍ فَحُلَّتْ أَوْ فِي نَازِلَةٍ فَعُوْلِجَتْ، فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُوْنَ.

وَصَـدَقَ فِيْكَ وَفِي بِطَانَتِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾. فَتَجَذَّرَ الكِبْرُ فِي القُلُوْبِ وَاسْتَحْكَمَ الصَّلَفُ عَلَى النُّفُوْسِ، وَتَحَقَّقَ فِيْكُمْ قَوْلُ الصَّادِقِ المصْدُوْقِ ﷺ: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» فَاسْتَكْبَرْتُمْ عَنْ قَبُوْلِ النَّصِيْحَةِ وَبَطَرْتُمُوْهَا، وَازْدَرَيْتُمْ قَائِلِيْهَا فَظَنَنْتُمْ أَنَّ عُقُوْلَكُمْ أَكْبَرُ وَأَفْهَامَكُمْ أَوْسَعُ؛ حَتَّى لَكَأَنَّ الوَاحِدَ مِنْكُمْ مُؤَيَّدٌ بِوَحِيٍّ مِنَ السَّمَاءِ فَلَا يُخْطِئُ وَلَا يَزِلُّ، وَنَظَرْتُم لِلْمُجَاهِدِيْنَ كَنَظَرِ المتَكَبِّرِ المتَغَطْرِسِ لِلذَّرِّ وَالنَّمْلِ، وَيُرْوَى فِي الْخَبَرْ «يُحْشَـرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُـوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّـغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ».

وَلَقَدْ تَتَابَعَتِ الرُّؤَى مِنَ الصَّالِحِيْنَ أَنَّ اللهَ مُبْتَلِيْكَ وَمُسْتَبْدِلُكَ بِغَيْرِكَ إِنْ بَقِيْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ وَلَمْ تُصْلِحْ فَسَادَ الحَالِ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللهِ المَاضِيَةِ فِي خَلْقِهِ، لَا تُحَابِي أَحَدًا كَائِنًا مَا كَانَ ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، فَلَا يَكُنْ حَالُكَ بَعْدَهَا كَمَا قَالَ الأَوَّلُ:

تَوَلاَّهَـا وَلَـيْسَ لَـهُ عَـدُوٌّ ... وَفَارَقَهَـا وَلَـيْسَ لَـهُ صَـدِيْقُ

وَلَا تَظُنَّنَّ أَنَّ سُلْطَانَكَ دَائِمٌ لَا يَزُوْلُ، فَكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَلَا يَدُوْمُ إِلَّا وَجْهُ اللهِ الملِكِ الدَّيَّانِ، وَاذْكُرْ قَوْلَ المعْتَمِدِ ابْنِ عَبَّادٍ -يُخَاطِبُ نَفْسَهُ- وَقَدْ دَارَ عَلَيْهِ الزَّمَانُ دَوْرَتَهُ بَعْدَ مُلْكِهِ وَأُبَّهَتِهِ:

مَــنْ بَــاتَ بَعْــدَكَ فِيْ مُلْــكٍ يُسَــرُّ بِــهِ   فَــإِنَّمَا بَــاتَ فِيْ الأَحْــلَامِ مَغْــرُوْرًا

وَخَيْرٌ مِنْهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾.

فَارْجِعْ إِلَى رُشْدِكَ، وَرَاجِعْ نَفْسَكَ، وَاتَّقِ رَبَّكَ، فَإِنَّ امْتِثَالَ النُّصْحِ أَمْدَحُ وَأَحْمَدُ، وَالرُّجُوْعَ إِلَى الحَقِّ أَسْعَفُ وَأَسْعَدُ.

فَكَيْفَ صَنِيْعُكَ إِذَا أَتَاكَ مَلَكٌ شَدِيْدُ البَأْسِ وَالقُوَّةِ فَأَزَالَكَ عَنْ سُلْطَانِكَ، وَأَخْرَجَكَ مِنْ سَعَةِ دُنْيَاكَ إِلى ضِيْقِ قَبْرِكَ، ثُمَّ لَا يُنْجِيْكَ حِيْنَئِذٍ إِلَّا عَمَلُكَ، وَتُحْشَرُ بَعْدَهَا مَغْلُوْلًا فَلا يَفُكُّكَ إِلَّا عَدْلُكَ.

لَا تَقْعُــدَنَّ وَقَــدْ أَكَّلْتَهَــا حَطَبًــا   تَعُــوذُ مِــنْ شَرِّهَــا يَوْمًــا وَتَبْتَهِــلُ

فَاذْكُرْ وُقُوْفَكَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ عَارِيًا وَحِيْدًا ضَعِيْفًا مَكْسُوْرًا، فَيَسْأَلُكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ وَقَدْ غَشَشْتَهَا وَضَيَّعْتَهَا وَلَمْ تَرْعَهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا؛ وَقَدْ قَالَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِطَاغِيَةِ العِرَاقِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ، إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ» وَفِيْ رِوَايَةٍ: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ المُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»، وَفِيْ رِوَايَةٍ: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ»، فَنَشْهَدُ باللهِ -الَّذِيْ اسْتَشْهَدَ أُولِي العِلْمِ عَلَى أَعْظَمِ شَهَادَةٍ- أَنَّكَ غَشَشْتَ الأُمَّةَ وَلَمْ تَحُطْهَا بِنُصْحِكَ بَلْ أَبْعَدْتَ النَّاصِحِيْنَ وَقَرَّبْتَ الغَشَّاشِيْنَ، واللهُ المَوْعِدُ.

وَتَأَمَّلْ مَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِيْنَ قَالَ: «دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُرِيَنِي عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّوْمِ فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ سَنَةٍ وَهُوَ يَسْلُتُ الْعَرَقَ عَنْ وَجْهِهِ وَهُوَ يَقُولُ: الآنَ خَرَجْتُ مِنَ الْحِنَاذِ».

أَوَلَمْ يَكُنْ لَكَ فِيْ كُلِّ هَذِهِ الأَوَابِدِ والمَصَائِبِ الَّتِيْ تَنْزِلُ بِدَوْلَةِ الإِسْلَامِ تَذْكِرَةٌ وَعِبْرَةٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ

وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾، و قَالَ سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ ﴾ فَإِنِ اسْتَجَبْتَ لِهَذِهِ الأَنْبَاءِ وَالآيَاتِ الزَّاجِرَاتِ المنْذِرَاتِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَإِلَّا فَحَالُنَا مَعَكَ ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾.

فَانْظُرْ فِي بِطَانَتِكَ بِطَانَةِ السُّوءِ الَّتِي تُزَيِّنُ لَكَ البَاطِلَ وَتُلَمِّعُ لَكَ البَهْرَجَ فَأَبْعِدْهَا وَاسْتَبْدِلْهَا وَاقْلَعْهَا ثُمَّ اقْمَعْهَا، فَفِي الصَّحِيحِ عَنْه ﷺ: «مَا اسْتُخْلِفَ خَلِيفَةٌ إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ»، وَإِنَّمَا الأَمِيرُ سُوقٌ فَمَا نَفَقَ فِيهِ حُمِلَ إِلِيْهِ، إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ، وِإِنْ شَرًا فَشَرٌ، وَإِنَّ نَفَاقَ أَهْلِ النِّفَاقِ فِيْ سُوْقِكَ عَلَامَةٌ عَلَى فَسَادِ حَالِهَا..!!

وَدُوْنَكَ الصَّالِحُوْنَ مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ وَحُفَّاظِ القُرْآنِ ذَوِيْ السَّابِقَةِ وَالفَضْلِ وَالغَزَوَاتِ وَالرِّبَاطِ، فَأَدْنِهِم وَقَرِّبْهُمْ وَشَاوِرْهُمْ وَاسْتَنْصِحْهُم وَاسْتَعْمِلْهُم، فَهُمْ -بَعْدَ رَحْمَةِ اللهِ بِكَ- حَبْلُ نَجَاتِكَ وَمِرْقَاةُ فَلَاحِكَ، وَكُلُّ سَبِيْلِ إِصْلَاحٍ لَا بُدَّ -بَعْدَ تَوْفِيْقِ اللهِ- أَنْ يَمُرَّ مِنْ طَرِيْقِهِمْ وَإِلَّا فَهُوَ إِفْسَادٌ، وَكُلُّ مُحَاوَلَةِ تَصْحِيْحٍ لَا بُدَّ أَنْ يُسْتَعَانَ فِيْهَا -بَعْدَ الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ- بِهِمْ وَإِلَّا فَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ العَبَثِ وَتَرْكِ الرَّشَادِ.

فَتَتَبَّعْهُمْ وَاجْمَعْهُمْ بَعْدَ إِذْ أَقْصَيْتَهُمْ وَجَفَيْتَهُمْ، وَتَأَلَّفْهُمْ بَعْدَ إِذْ ضَيَّعْتَهُمْ، وَوَاسِهِمْ فَقَدْ أَكْرَبْتَهُمْ وَفَجَعْتَهُمْ وَسَجَنْتَهُمْ وَقَتَلْتَهُمْ، وَإِنَّمَا أَقْصُدُ طَلَبَةَ العِلْمِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالرُّسُوْخِ فِي مَنْهَجِ التَّوْحِيْدِ وَالجِهَادِ مُنْذُ زَمَنٍ -وَهُمْ كُثُرٌ بِحَمْدِ اللهِ-، لَا المتَشَبِّعِيْنَ بِالزُّوْرِ مِنْ أَتْبَاعِ البَيَانَاتِ وَالتَّعْمِيْمَاتِ مِنْ ذَوِيْ البِدَعِ المنْكَرَةِ وَالمدَاهَنَةِ المخْزِيَةِ وَالتَّقَلُّبَاتِ الممْجُوْجَةِ وَالعَقَائِدِ الفَاسِدَةِ.

وَيَرْحَمُ اللهُ إِمَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَبِيْ عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ حِينَ قَالَ: «السُّلْطَانُ دَاءٌ وَالعَالِمُ طَبِيْبٌ» فَكَيْفَ يَنْجُوْ مِنَ الدَّاءِ مَرِيْضٌ عَادَى الطَّبِيْبَ وَأَقْصَاهُ، وَجَفَاهُ وَقَلَاهُ..؟!

وَلَقَدْ أَطَلْتُ فِي كِتَابِي وَأَغْلَظْتُ فِي خِطَابِي؛ لِأَنِّي رَأَيْتُ الكَثِيْرِيْنَ اخْتَصَرُوا فَمَا أَجْدَى وَلَا نَفعَ، وَتَرَفَّقُوا فَمَا نَبَّهَ غَافِلًا وَلَا أَيْقَظَ مَنْ هَجعَ، وَإِنَّ عَامَّةَ مَا كَتَبْتُهُ هُوَ هَاجِسُ كُلِّ مُصْلِحٍ فِي هَذِهِ الجَمَاعَةِ قَلَّ ذَلِكَ أَوْ كَثُرَ، وَلَوْ عَرَضْتُ كِتَابِي هَذا عَلَيْهِمْ وَأَعْطَيْتَهُمُ الأَمَانَ لَوَجَدْتَ لِمَقَالِي تَصْدِيْقًا، وَلِادِّعَائِي تَحْقِيْقًا(١).

وَهَذَا مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِيْنَ رَجعَ إِلَى قَوْمِهِ وَوَجَدَهُمْ قَدْ عَبَدُوْا العِجْلَ أَغْلَظَ عَلَى هَارُوْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ فَكَانَ إِغْلَاظُهُ عَلَى رَأْسِ الأَمْرِ الَّذِيْ بِيَدِهِ قَضَاءُ النَّوَازِلِ وَحَلُّهَا، وَحَسْمُ نِزَاعِ الأُمَّةِ وَاجْتِمَاعُ كَلِمَتِهَا.

وَكَمَا قَالَ العَدْنَانِيُّ -تَقَبَّلَهُ اللهُ-: " لَوْ وَسِعَنَا السُّكُوْتُ لَسَكَتْنَا.. لَوْ وَسِعَنَا التَّلَطُّفُ لَتَلَطَّفْنَا.. لَوْ وَسِعَنَا اللِّيْنُ لَأَلَنَّا.. ".

وَرَحِمَ اللهُ حَبِيْبَ بنَ أَوْسٍ الطَّائِيَّ أَبَا تَمَامٍ إِذْ يَقُوْلُ:

كَانَتْ لَكُمْ أَخْلَاقُهُ مَعْسُوْلَةً ... فَتَرَكْتُمُوْهَا وَهْيَ مِلْحٌ عَلْقَمُ

فَقَسَا لِتَزْدَجِرُوا؛ وَمَنْ يَكُ حَازِمًا ... فَلْيَقْسُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ يَرْحَمُ

وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنِّي إِذْ أُسَطِّرُ كِتَابِي هَذا قَدْ أَشْتَرِي بَعْدَهُ حَنُوطِي وَأَنْسُجُ أَكْفَانِي، وَأُسَارِعُ كَيْ تَبْكِيْنِي أَهْلِي وَيَنْدُبُنِي خِلَّانِي، لَكِنَّ الأَمْرَ أَمْرُ الدِّيْنِ إِذْ تَضَعْضَعَ بُنْيَانُهُ، وَتَزَلْزَلَتْ أَرْكَانُهُ، وَحَسْبِي قَوْلُ رَبِّي: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾، وَمَا أَحْسَنَ مَا نَصَحَ بِهِ ذَاكَ الأَعْرَابِيُّ إِمَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ حِيْنَ امْتُحِنَ وَابْتُلِيَ، فَقَالَ أَحْمَدُ: "مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً مُنْذُ وَقَعْتُ فِيْ الأَمْرِ الَّذِيْ

(١) ولو شئتُ لسَمَّيْتُ لك أكثر من ثلاثين طالب علم وقاض كلهم يتحدث بها كتبت أو ببعضه، وإلى الله المشتكى.

وَقَعْتُ فِيْهِ أَقْوَى مِنْ كَلِمَةِ أَعْرَابِيٍّ كَلَّمَنِيْ بِهَا، قَالَ لِيْ: يَا أَحْمَدُ؛ إِنْ يَقْتُلْكَ الحَقُّ مِتَّ شَهِيْدًا، وَإِنْ عِشْتَ عِشْتَ حَمِيْدًا"، وَكَمَا أَنْشَدَ جَدِّيْ أَبُوْ الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أُرِيْدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيْدُ قَتْلِيْ عُذَيْرُكَ مِنْ "قَرِيْبِكَ" مِنْ "قُرَيْشٍ"

وَلَقَدْ أَشْهَدْتُّ عَلَى رِسَالَتِي هَذِهِ سَبْعَةً مِنْ خِيْرَةِ المجَاهِدِيْنَ مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ المبَرَّزِيْنَ مِنَ المهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ، وَعَرَضْتُّ أَكْثَرَ مَضْمُوْنِهَا عَلَيْهِمْ، وَأَعْطَيْتُ بَعْضَهُمْ نُسْخَةً مِنْهَا، حَتَّى يَعْلَمُوا إِنِ ابْتُلِيْتُ خِفْيَةً بِسَبَبِ بَلَائِيْ؛ وَأَسْأَلُ اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَهُوَ حَسْبِيْ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ.

وَلَقَدْ وَعَظَ التَابِعِيُّ أَبُوْ حَازِمٍ سَلَمَةُ بنُ دِيْنَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ سُلَيْمَانَ بنَ عَبْدِ الملِكِ وَعْظًا شَدِيْدًا فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: أَسَأْتَ إِلى أَمِيْرِ المؤْمِنِيْنَ! فَقَالَ لَهُ أَبُوْ حَازِمٍ: "اسْكُتْ! فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَخَذَ مِيْثَاقَ العُلَمَاءِ ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾" وَحَسْبُنَا مِنَ اللهِ هَذَا المِيْثَاقُ.

فَإِنَّا لَمْ نُهَاجِرْ مِنْ دُوْرِنَا وَنَتْرُكْ آبَاءَنَا وَأُمَّهَاتِنَا وَأَهْلِيْنَا لِنَـتَمَلَّقَ وَزِيْرًا أَوْ نَغُشَّ أَمِيْرًا، وَإِنَّ المدَاهَنَةَ لَمْ نَرْتَضِهَا وَنَحْنُ أَسْرَى فِي سُجُوْنِ الطَّوَاغِيْتِ وَقُيُوْدُهُمْ تُكَبِّلُ أَيْدِيْنَا وَأَرْجُلَنَا، فَهَلْ نَرْضَاهَا بَعْدَ أَنْ أَعَزَّنَا اللهُ بِالهِجْرَةِ وَالجِهَادِ..؟!

وَإِنِّي لَأَتَأَثَّمُ أَنْ أَغُشَّكَ النَّصِيْحَةَ أَوْ أَكْتُمَكَ البَيَانَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَيْتُكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الأَيَّامِ صَفْقَةَ يَدِيْ وَرَأَيْتُكَ إِمَامًا وَاجِبٌ لَكَ عَلَيَّ النُّصْحُ، وَأَلْفَيْتُكَ ابْنَ عَمٍّ لَكَ حَقُّ القَرَابَةِ وَإِنْ قَطَعْتَ الرَّحِمَ، وَقَدْ كَانَ يَسَعُنِي أَنْ أَسْكُتَ أَوْ أُدَاهِنَ أَوْ أَتَمَلَّقَ أَوْ أُجَامِلَ، وَلَنْ يُعْجِزَنِي القَلَمُ عَنْ تَزْوِيْقِ العِبَارَاتِ وَتَدْبِيْجِ المقَالاتِ، وَلَكِنْ قَدْ نَصَحْنَا لَكَ فَانْصَحْ لِهَذِهِ الأُمَّةِ.

وَهَا أَنَا ذَا قَبْلَ أَنْ أُنْهِيَ تَحْرِيْرَ رِسَالَتِيْ -إِلَيْكَ- أَقَعُ فِيْ حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِيْ وَلَا أَدْرِي إِلَى أَيْنَ أَنْحُوْ أَوْ أَتَّجِهُ.!! وَقَدْ أَتَانِي نَبَأٌ مِنْ رَجُلٍ نَاصِحٍ مِنَ اللَّجْنَةِ المفَوَّضَةِ يَقُوْلُ لِي: "﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ لِيَسْجُنُوْكَ ﴿فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، وَإِنَّ خَفَافِيْشَ الظَّلَامِ وَذُبَابَ الحُشُوْشِ تَنْبُشُ

فِيْ إِنْتَاجِكَ العِلْمِيِّ المقْرُوْءِ وَالمسْـمُوْعِ قَبْلَ الهِجْرَةِ وَبَعْدَهَا لِتَصَيُّدِ الأَخْطَاءِ وَالزَّلَلِ[١]"، فَأَنَا أَقُوْلُ كَمَا قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾، وَلَيْسَ ثَمَّةَ مَا أَخَافُهُ أَوْ أَحْذَرُهُ -بِحَمْدِ اللهِ- إِلَّا ظُلْمُ الظَّالِمِيْنَ وَتَسَلُّطُ المتَغَطْرِسِيْنَ، وَقَدْ سُجِنَ مِنْ قَبْلُ الشَّيْخُ الصَّالِحُ القَاضِيْ أَبُوْ عَبْدِ البَرِّ الكُوَيْتِيُّ وَقُتِلَ وَذَهَبَ دَمُهُ هَدْرًا، وَسُجِنَ مِنْ بَعْدِهِ الشَّيْخُ القَاضِيْ أَبُوْ يَعْقُوْبَ المقْدِسِيُّ وَلَا يُدْرَى مَصِيْرُهُ، وَسُجِنَ مِنْ قَبْلِهِمَا الشَّيْخُ القَاضِيْ أَبُوْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزَّرْقَاوِيُّ مَعَ سَابِقَتِهِ وَعُلُوِ كَعْبِهِ فِي العِلْمِ وَالفَضْلِ وَالبَذْلِ؛ وَامْتُحِنَ فِيْ دِيْنِهِ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَى نَفْسِهِ بِالبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ وَيُوَقِّعَ عَلَى ذَلِكَ فَأَبَى -جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا-، وَسُجِنَ مِنْ قَبْلِهِمُ الشَّيْخُ أَبُوْ البَرَاءِ العنزِيُّ -قَاضِيْ دِيْوَانِ الجُنْدِ- فَلَمْ يُخْرِجْهُ إِلَّا تَقَدُّمُ الرَّافِضَةِ عَلَى الموْصِلِ -فَرَّجَ اللهُ كَرْبَهَا-.

وَلَقَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ الدَّوْلَةُ بِمَا رَحُبَتْ، فَهَلْ يَا تُرَى بَعْدَ أَنْ طَارَدَنَا العَالَمُ كُلُّهُ بِمُخَابَرَاتِهِ وَعُيُوْنِهِ وَجُيُوْشِهِ وَجُنْدِهِ نُصْبِحُ -نَحْنُ مَعَاشِرَ طَلَبَةِ العِلْمِ- مُطَارَدِيْنَ فِي دَارِ الإِسْلَامِ..؟!

فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِليهِ رَاجِعُوْنَ، وَهُنَا حُقَّ لِلْعَبَرَاتِ أَنْ تُسْكَبَ، وَلِلْأَكْبَادِ أَنْ تَنْفَطِرَ، وَلِلْأَرْوَاحِ أَنْ تَزْهَقَ.

فَلَوْ كَانَ مَوْلَايَ امْرأً هُوَ غَيْرُهُ ... لَفَرَّجَ كَرْبِي أَوْ لَأَنْظَرَنِي غَدِي

---

(١) قلت: ما أصدقَ وصف شمس الدين أبي عبد الله ابن قَيِّم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مَنْ هذه حاله: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ طَبْعُهُ طَبْعُ خِنْزِيرٍ يَمُرُّ بِالطَّيِّبَاتِ فَلَا يَلْوِي عَلَيْهَا، فَإِذَا قَامَ الْإِنْسَانُ عَنْ رَجِيعِهِ قَمَّهُ، وَهَكَذَا كَثِيرٌ فِيْ النَّاسِ يَسْمَعُ مِنْكَ وَيَرَى مِنَ الْمَحَاسِنِ أَضْعَافَ أَضْعَافِ الْمَسَاوِئِ فَلَا يَحْفَظُهَا وَلَا يَنْقُلُهَا وَلَا تُنَاسِبُهُ، فَإِذَا رَأَى سَقْطَةً أَوْ كَلِمَةً عَوْرَاءَ وَجَدَ بُغْيَتَهُ وَمَا يُنَاسِبُهَا فَجَعَلَهَا فَاكِهَتَهُ وَنُقْلَهُ." ا.هـ.[المدارج ١/٤٠٦]، وقد صنعها العبد الآبق وصاحبه باني سجون الرافضة مع الشيخ أبي همام فنبشوا تراثه العلمي الرائق النفيس، واستخرجوا بمنقاش العمى ما حسبوه بحماقتهم وجهلهم خطأ، وسودوه في أربع عشـرة صفحة بسواد وجوههم المظلمة بالبدعة، وأشاعوا بين الإخوة نيتهم لاستتابته علنا.! فهل سمع عقلاء البشر بسفاهة ووقاحة كهذه؟! لكنه العبد إذ تسود والكلب إذ تمرد، وأخس منهما من صدَّق هذرهما وتبع رأيهما.

أَنْوَكُ مِنْ عَبْدٍ وَمِنْ عُرْسِهِ ... مَنْ حَكَّمَ العَبْدَ عَلَى نَفْسِهِ
وَلَا يُرْجَّى الخَيْرُ عِنْدَ امْرِءٍ ... مَرَّتْ يَدُ النَّخَّاسِ فِيْ رَأْسِهِ

وظُلْـــمُ ذَوِيْ القُرْبَـــى أَشَـــدُّ مَضَاضَـــةً   عَـلَى المـــرْءِ مِـــنْ وَقْـــعِ الحُسَـــامِ المُهَنَّـــدِ

فَلا أَدْرِيْ –وَأَيْمُ اللهِ– أَيْنَ أُيمِّمُ وَجْهِيْ وَأُسَيِّرُ رَكَائِبِيْ، أَفَبَعْدَ أَنْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ»؛ يُصْبِحُ الفِرَارُ إِلَى البَوَادِيْ أَوْ الجِبَالِ أَوْ دِيَارِ الطَّاغُوْتِ جُنَّةً لَنَا مِنْ أَذَاهُ.. وَيُصْـبِحُ "الإِمَامُ" مِمَّنْ يُتَّقَى مِنْهُ وَلَا يُتَّقَى بِهْ..؟! ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾.

وَحَسْبِيْ سُنَّةُ السَّلَفِ الأَوَّلِيْنَ مِنَ العُلَمَاءِ وَالأَئِمَةِ الصَّالِحِيْنَ، الَّذِيْنَ ابْتُلُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللهِ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ؛ كَابْنِ شِـهَابٍ الزُّهْرِيِّ حِيْنَ عَزَمَ عَلَى الفِرَارِ لِأَرْضِ الرُّوْمِ هَرَبًا مِنْ بَطْشِ الوَلِيْدِ بنِ يَزِيْدَ بنِ عَبْدِ الملِكِ، وَإِبْرَاهِيْمَ النَخَعِيِّ وَسَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ حِيْنَ هَرَبَا خَوْفًا مِنْ بَطْشِ الحَجَّاجِ، وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ حِيْنَ هَرَبَ خَوْفًا مِنْ بَطْشِ العَبَّاسِـيَّيْنِ المهْدِيِّ وَأَبِيْ جَعْفَر؛ وَلَقَدْ قال الإِمَامُ البُخَارِيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فِيْ كِتَابِ الإِيْمَانِ مِنْ صَحِيْحِهِ: " بَابٌ: مِنَ الدِّينِ الفِرَارُ مِنَ الفِتَنِ " ثُمَّ رَوَى حَدِيْثَ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرْفُوْعًا وَفِيْهِ: «يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ»، وَرُوِيَ فِيْ الأَثَرِ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَسْلَمُ لِذِي دِينٍ دِينُهُ إِلَّا مَنْ فَرَّ بِدِينِهِ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ، وَمِنْ شَاهِقٍ إِلَى شَاهِقٍ وَمِنْ جُحْرٍ إِلَى جُحْرٍ» وَرُوِيَ أَيْضًا: «مَنْ فَرَّ بِدِيْنِهِ شِبْرًا فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»، وَهَلْ يَا تُرَى بَعْدَ الهِجْرَةِ وَالنَّفِيْرِ، أَقِفُ عَلَى أَطْرَافِ دَوْلَةِ الإِسْلَامِ وَأُنْشِدُ قَوْلَ أَبِيْ بَكْرٍ الزَّبِيْدِيِّ الأَنْدَلُسِيِّ:

إِنْ يَفْـــتَرِقْ شَـــمْلُنَا وَشِـــيْكًا   مِـــنْ بَعْـــدِ مَـــا كَـــانَ ذَا اجْـــتِمَاعِ
فَكُـــــلُّ شَـــــمْلٍ إِلَى افْـــتِرَاقٍ   وَكُـــــلُّ شِـــــعْبٍ إِلَى انْصِـــــدَاعِ
مَـــا خَلَـــقَ اللهُ مِـــنْ عَـــذَابٍ   أَشَـــدَّ مِـــنْ وَقْفَـــةِ الـــوَدَاعِ

فَلا أَقُوْلُ لَكَ وَلِمنْ وَلَّيْتَهُمْ عَلَيْنَا إِلَّا مَا قَالَ مُوْسَـى كَلِيْمُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ﴾ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُوْلًا، أَوْ حَتَّى تَرْجِعَ الرُّوْحُ إِلَى بَارِئِهَا، وَتَفِيْءَ إِلَى مَأْوَاهَا وَخَالِقِهَا، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّـوْرِ ﴿لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وَاعْلَمْ حِيْنَهَا أَنَّ لَنَا بَيْنَ يَدَيِّ الملِكِ الحَكَمِ الجَبَّارِ القَهَّارِ مَوْقِفًا طَوِيْلًا وَحِسَابًا جَلِيْلًا، وَلِسَانُ حَالِيْ وَمَقَالِيْ: ﴿وَٱصۡبِرۡ

حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾، وَهُوَ ﴿أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ ﴿يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾.

وَأَخْتِمُ كِتَابِي وَحُدَائِي مَا أَنْشَدَهُ نَصْرُ بنُ سَيَّارٍ وَكَانَ وَالِيًا لِبَنِي أُمَيَّةَ عَلَى خُرَاسَانَ يُحَذِّرُهُمْ قِيَامَ بَنِي العَبَّاسِ وَيُخَوِّفُهُمْ وَيُنْذِرُهُمْ زَوَالَ دَوْلَتِهِمْ؛ فَقَالَ:

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيْضَ جَمْرٍ ... وَيُوْشِكُ أَنْ يَكُوْنَ لَهَا ضِرَامُ
فَإِنَّ النَّارَ بِالعُوْدَيْنَ تُذْكَى ... وَإِنَّ الحَرْبَ أَوَّلُهَا الكَلَامُ
غَفَلْتُمْ عَنْ بِلَادٍ عَزَّ فِيْهَا ... لِئَامُ النَّاسِ وَاهْتُضِمَ الكِرَامُ
فَقُلْتُ مِنَ التَعَجُّبِ لَيْتَ شِعْرِي ... أَأَيْقَاظٌ أُمَيَّةُ أَمْ نِيَامُ؟!
فَإِنْ كَانُوا لِحَيْنِهِمُ نِيَاما ... فَقُلْ قُوْمُوا فَقَدْ طَالَ المَنَامُ

وَقَالَ أَبُو مُسْلِمِ بنُ بَحْرٍ فِي مَنْشَأِ دَوْلَةِ الدَّيْلَمِ وَزَوَالِ دَوْلَةِ بَنِي العَبَّاسِ:

أَرَى نَارًا تَشِبُّ بِكُلِّ وَادٍ ... لَهَا فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ شُعَاعُ
وَقَدْ رَقَدَتْ بَنُو العَبَّاسِ عَنْهَا ... فَأَضْحَتْ وَهْيَ آمِنَةٌ تُرَاعُ
كَمَا رَقَدَتْ أُمَيَّةُ ثُمَّ هَبَّتْ ... لِتَدْفَعَ حِيْنَ لَيْسَ بِهَا دِفَاعُ

وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

فَرَغَ مِنْ تَحْرِيْرِهَا عَجِلًا خَائِفًا مُتَرَقِّبًا؛ آوِيًا إِلَى رُكْنِ اللهِ الشَّدِيْدِ

مُعْتَصِمًا بِالملِكِ اللَّطِيْفِ المجِيْدِ

المفْتَقِرُ لِرَحْمَةِ الغَنِيِّ الحَمِيْدِ:

أَبُوْ مُحَمَّدٍ الحُسَيْنِيُّ الهَاشِمِيُّ

فِيْ مَدِيْنَةِ الميَادِيْنِ مِنْ وِلَايَةِ الخَيْرِ

عَصْرَ الحَادِيْ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَوَّال لِعَامِ ١٤٣٨